رسوم الاحتفال بزيادة مياه النيل فى مصر من الفتح الإسلامى وحتى نهاية العصر المملوكى ٢١-٩٢٣هـ / ٦٤١-١٥١٧م

إعداد

أ.د.م / ثناء عبد العظيم عبد العزيز عبد العظيم

كلية الدراسات الإنسانية تفهنا الأشراف

جامعة الأزهر

ملخص بحث :

رسوم الاحتفال بزيادة مياه النيل فى مصرمن الفتح الإسلامى وحتى نهاية العصر المملوكى٢١ – ٩٢٣هـ / ٦٤١ – ١٥١٧م

إعداد

أ.د.م/ ثناء عبد العظيم عبد العزيز

أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد

بكلية الدراسات الإنسانية

جامعة الأزهر

إنَّ نهر النيل هو شريان الحياة لمصر والمصريين. إنه حجر الزاوية في الحضارة المصرية على مر العصور، إذ يعتبر نهر النيل والحفاظ على مياهه وتأمين وصوله إلى الأراضي المصرية أولوية أولى للمصريين الذين ارتبط النيل بهم باحتفالات مختلفة ، ومجموعة من التقاليد التي ظهرت وتطورت على مر العصور. وتعكس هذه الاحتفالات العلاقة بين تلك المهرجانات والقوى السياسية التي كانت تتولى السلطة في تلك الفترة الزمنية.

يُقدم هذا البحث دراسة استقصائية حول مختلف طرق الاحتفال بزيادة مياه النيل ومدى حرص القوى السياسية المصرية على مثل هذه الاحتفالات ، وكيف أثر ذلك على الأحداث السياسية التي وقعت في مصر خلال تلك الفترة.

وقد خلصت الدراسة إلى أن هناك علاقة عكسية بين هذه الاحتفالات (وبين حالة نظام الحكم القائم) وإلى أي مدى كان حكام مصر يسيطرون على بلدهم من خلال مثل هذه المهرجانات خلال تلك الفترة الزمنية.

وتكتشف الدراسة أنه كلما كانت تلك الاحتفالات مبالغا فيها، كلما اتضح أن هذا يعكس في الغالب ضعف الحكام ، ويشير إلى حالة من عدم الاستقرار. بل على العكس من ذلك، عندما تكون هذه الاحتفالات معتدلة وغير مبالغ فيها، فإن ذلك يعكس مدى قوة الحكام الذين كانوا يملكون السلطة في تلك الفترة الزمنية.

كلمات المفتاحية : المياه – نهر النيل – الفتح – المماليك

Features of Celebrating the Increase of the Water of the River Nile since the Conquest till the End of the Mamluks Era21 - 923 AH / 641 - 1517 AD

Prepared by

Dr. Snaa Abdul Azim Abdul Aziz

Assistant Professor of Islamic History

Faculty of Humanities – Tafahna Al Ashraf Al Azhar University

In fact, The River Nile is the stream of life for Egypt and the Egyptians. It is the cornerstone of the Egyptian civilization along ages. The River Nile and the maintenance of its water and securing its access to the Egyptian land is a first priority for the Egyptians for whom the Nile has been associated with various celebrations and set of traditions that appeared and developed along ages. Such celebrations reflect the relation between those festivals and the political powers holding the authority at that period of time. This study presents a survey about the various ways of celebrating the increase of the Nile water and how far the political powers of Egypt had been keen on such celebrations and how this affected the political events that took place in Egypt during that period of time.

Finally, the study comes to the conclusion that there is an inverse relationship between such celebrations and how far the rulers of Egypt had control over their country through such festivals during that period of time. The study finds out that the more those celebrations are exaggerated, the more it is evident that this mostly reflects the weakness of the rulers and indicates a state of instability. On the contrary, when such celebrations are

moderate and not exaggerated this reflects the strength and power of the rulers who were holding authority at that period of time.

Key words : Water - River Nile –Conquest - Mamluks

نهر النيل هو بحق شريان الحياة لمصر والمصريين ، وهو الركيزة الأولى التى قامت عليها حضارة مصر فى مختلف العصور ، ويحتل نهر النيل وتأمين وصول مياهه لأراضى مصر موقع الصدارة فى الأهمية لدى أبنائها ، وقد ارتبط نهر النيل بالعديد من الرسوم[١] والعادات التى ظهرت وتطورت على مر العصور ، والتى كانت انعكاسًا آخر يربط بين الاهتمام بالرسوم المتعلقة بالنيل ، والقوى السياسية التى تتربع على عرش البلاد ، ومن هنا كان التفكير فى هذا الموضوع الذى يعرض للرسوم التى ارتبطت بمياه نهر النيل ، وقياس مدى وفرتها ، ومدى اهتمام القوى السياسية بمصر بهذا الأمر ، وتأثير الأحداث السياسية التى مرت بها البلاد – عبر العصور – على تلك الرسوم .

ويتناول هذا البحث " الرسوم المتعلقة بقياس مياه النيل فى الحقبة الواقعة بين الفتح الإسلامى لمصر وحتى نهاية العصر المملوكى (٢١ – ٩٢٣هـ / ٦٤١ – ١٥١٧م) ".

عندما فتح المسلون مصر وقفوا على بعض رسوم أهلها المتعلقة بزيادة مياه النيل ، وهو ما أوردته بعض المصادر ؛ إذ وفد بعض المصريين على عمرو بن العاص ليخبروه بما اعتادوا عليه من رسوم تجاه هذا الأمر قائلين : إن لهذا النيل سُنّة لا يجرى إلا بها ، وهى تقديم فتاة بكر تنزع من أبويها بعد رضائهما ، وتُزين بالحلى ثم تُلقى فى النيل[٢] ، فلم يقرهم عمرو بن

---

(١)الرسوم هى الأعمال التى تنتسب إلى الدولة ، وتجرى على أصولها المقررة ، (المعجم الوجيز : مطابع الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، ١٩٩٥ / ١٩٩٦م ، ص ٢٦٤).

(٢)ابن عبد الحكم : أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين القرشى المصرى (ت ٢٥٧هـ / ٨٧٠م) فتوح مصر والمغرب ، تحقيق وتقديم على محمد عمر ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م ، ص ١٧٦ ، ابن كثير : أبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير القرشى الدمشقى (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) البداية ==

العاص على ذلك الأمر ؛ لمنافاته تعاليم الإسلام ، فتوقف جريان النيل على ما اعتادوا عليه فى شهور بؤنة[١] وأبيب[٢] ومسرى[٣] القبطية[٤] فلما رأى عمرو ذلك كاتَبَ عمر بن الخطاب بما حدث ، فأرسل إليه بطاقة بعد أن صوَّب فعله مع الأقباط، وطلب منه أن يرمى تلك البطاقة فى النيل ، والتى كان قد جاء فيها : " من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل أهل مصر ، أما بعد ، فإن كنت تجرى من قبلك فلا تجر وإن كان الله الواحد القهار الذى

==

والنهاية ، حـ ١٠ ، تحقيق عبد الله عبد المحسن التركى ، دار هجر للطباعة والنشر ، ١٩٩٨م ، ص ٩٧ ، المقريزى : تقى الدين أحمد بن على بن عبد القادر (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤٢م) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية ، م١ ، حـ١ ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، د.ت ، ص ٩٣ ، ابن إياس : محمد بن أحمد بن إياس الحنفى (ت ٩٣٠هـ / ١٥٢٣م) نشق الأزهار فى عجايب الأقطار ، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية ، مجلد ٤٨، يصدرها فؤاد سزكين ، نصوص ودراسات حول جغرافيا طوبوغرافيا مصر ، حـ٤ ، فرانكفورت ، ألمانيا الاتحادية ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م ، ص ٧٤ ، المقدسى : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر البناء الشامى المقدسى المعروف بالبشارى (ت ٩٣٠هـ / ١٥٢٣م) كتاب أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، ط الثانية ، ليدن ، ١٩٠٦م ، ص ٤٠٧ .

(١)بؤونه : الشهر العاشر من الشهور القبطية ، ويقع فى فصل الصيف ، المعجم الوجيز ، ص ٣٤ .

(٢)أبيب : الشهر الحادى عشر من الشهور القبطية ويقع فى فصل الصيف ، المعجم الوجيز ، ص ٤.

(٣)مسرى : الشهر الثانى عشر من الشهور القبطية ، المعجم الوجيز ، ص ٥٨١ .

(٤)ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ١٧٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، حـ١٠ ، ص ٩٧ ، المقريزى : الخطط ، م١ ، حـ١ ، ص ٩٣ ، ابن إياس : نشق الأزهار ، ص ٧٤ ، المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٤٠٧ .

يجريك فنسأل الله الواحد أن يجريك"[١] وعندما ألقى عمرو بن العاص هذه البطاقة فى النيل أجراه الله ، وقطعت تلك السنة السيئة عن أهل مصر[٢] .

وهكذا يقضى عمرو بن العاص – مؤيدًا بالخليفة عمر بن الخطاب – على تلك الرسوم التى تتنافى مع تعاليم الدين الإسلامى ، وتزهق نفسًا باعتقاد خاطئ ، ومضى الأمر على ذلك.

ومن الأمور المتعلقة بالنيل ، والتى جرت عليها كثير من الرسوم " مقاييس النيل " وقبل أن نتناول تلك الرسوم ، نعرض أولاً للمقاييس التى اتخذت لقياس مياه النيل خلال العصر الإسلامى.

(١)ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ١٧٧ .

(٢)ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ١٧٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، حـ١٠ ، ص ٩٨ ، ابن إياس : نشق الأزهار ، ص ٧٥ ، المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٤٠٧ .

المبحث الأول :مقاييس النيل

كان عمرو بن العاص قد بنى عند فتحه لمصر مقياسًا بأسوان[١] ثم بنى آخر بموضع يقال له دندرة[٢] ثم بُنِيَ أيام معاوية بن أبى سفيان مقياس بأنصنا[٣] .

(١)أسوان : من المدن المصرية الأكثر قدما ، ومعنى اسمها المصرى القديم السوق أو محل التجارة ، لتبادل التجارة بها بين القطرين المصرى والسودانى ، حيث يضيق الشلال قبلها ، فيعقد سوق تجارى بحرى الشلال تجاهها ، وكانت من ثغور مصر وقصبة الصعيد الأعلى . (محمد رمزى : القاموس الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥م ، ق٢ ، حـ٤ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٤ م ، ص ٢١٦ ، ص ٢١٧) .

(٢)دندرة : مدينة قديمة من كور مصر بالصعيد الأعلى ، وهى غربى النيل دون قوص ، وقد خربت ولم يبق منها إلا أطلالها ومعبد هاتور الشهير بها ، وتقع جنوب شرق دندرة الحالية على بعد أربعة كيلو مترات منها. (محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، ق٢ ، حـ٤ ، ص ١٧٦).

(٣)أنصنا : بلدة شرقى النيل بالصعيد كانت تسمى بيسا ثم أطلق عليها المصريون أنطنوية ، وسماها العرب أنصنا ، وسماها القبط نصلة ، وكان اسمها يطلق على زمامها حتى أوائل القرن الثالث عشر الهجرى، ثم خربت تلك البلدة ، وقيد زمامها باسم الشيخ عبادة ، فاختفى اسم أنصنا ومكانها اليوم الأطلال الواقعة فى حوض مدينة النصلة بمركز ملوى. (محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، ق١ ، ص ١٣٢ ، ١٣٣) .

فلم يزل يقاس عليه حتى بنى عبد العزيز بن مروان[١] مقياسًا بحلوان[٢] سنة ٨٠هـ / ٦٩٩م ، ثم عمل أسامة بن زيد التنوخى[٣] مقياسًا عند الجزء الجنوبى من جزيرة الروضة[٤] وكان قد بناه سنة ٩٧هـ / ٧١٥م ،

---

(١)عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموى ، يكنى أبا الأصبع ، استعمله أبوه على مصر ، وقت خروجه منها سنة ٦٥هـ ، فلم يزل بها إلى أن توفى سنة ٨٦هـ . (ابن يونس : أبو سعيد عبد الرحمن بن يونس بن عبد الأعلى الصدفى المصرى (ت ٣٤٧هـ / ٩٥٨م) تاريخ ابن يونس ، ق٢ ، تاريخ الغرباء ، جمع وتحقيق عبد الفتاح فتحى عبد الفتاح ، دار الكتب العلمية ، ط الأولى ، بيروت ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م ، ص ١٢٨ ، ١٢٩).

(٢)فى مصر بلدتان تسمى كل منهما حلوان إحداهما وهى الأقدم قرية حلوان هذه التى أنشأها عبد العزيز بن مروان والى مصر سنة ٧٠هـ / ٦٨٩م ، وتبعد حلوان هذه عن حلوان الحديثة التى أنشأها الخديو إسماعيل سنة ١٨٧٤م ثلاثة كيلو مترات تقريبًا ، وتقع حلوان البلد على الشاطئ الشرقى للنيل غربى مدينة حلوان الحمامات الحديثة جنوبى القاهرة على بعد عشرين كيلو مترًا ، واختارها عبد العزيز بن مروان لارتفاعها عن الفسطاط ، وحسن موقعها وجودة هوائها وهو أول من اختطها . (محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، ق٢ ، حـ٣ ، ص ص ١٢ ، ١٣).

(٣)أسامة بن زيد بن عدى بن أبي عيسى التنوخى الكاتب ، ويقال الكلبى ، كان على ديوان الجند بدمشق فى زمان الوليد بن عبد الملك ، ثم ولى خراج مصر فى زمن الوليد ، سنة ٩٦هـ ، ثم نزع فى نفس العام ، ثم أقيم فى عساكر مصر ، ثم أعيد إلى ولاية الخراج سنة ١٠٢هـ ، فأقام حتى سنة ١٠٤هـ . (المقريزى : المقفى الكبير ، حـ٢ ، تحقيق محمد اليعلاوى ، دار الغرب الإسلامى ، ط . الأولى ، ١٤٤١هـ ، ١٩٩١م ، ص ٣٧ إلى ص ٤٠).

(٤) هو اسم يطلق على الجزيرة الواقعة فى النيل بين مدينة مصر (مصر القديمة) ومدينة الجيزة ، عرفت فى أول الإسلام بالجزيرة ، وبجزيرة الفسطاط وجزيرة مصر ، ==

ثم بنى المتوكل[١]فى الجزيرة مقياسًا فى أول سنة ٢٤٧هـ / ٨٦١م فى ولاية يزيد بن عبد الله التركى[٢] وهو بنفس المكان فى الجزء الجنوبى من الجزيرة ، وهو المقياس الكبير المعروف بالجديد[٣] .

==

وتعرف بجزيرة الصناعة ؛ لأنه كان بها دار الصناعة الخاصة بإنشاء السفن والمراكب من سنة ٥٤هـ إلى ٣٢٣هـ ، ولما أنشئ فيها المقياس عرفت بجزيرة المقياس سنة ٢٤٧هـ ، ولما أنشأ فيها أحمد بن طولون الحصن سنة ٣٦٢هـ عرفت بجزيرة الحصن ، ولما قدم المعز لدين الله من بلاد المغرب اتخذها متنزها له ، وفى سنة ٤٨٨هـ أنشأ الأفضل بن بدر الجمالى فيها مكانا نزها سماه الروضة ، ومن ذلك الوقت صارت تعرف بالروضة . (محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، ق٢ ، حـ٣ ، ص ١٩ ، ٢٠).

(١) أبو الفضل جعفر بن المعتصم ، أمه تركية اسمها شجاع ، بويع سنة ٢٣٢هـ ، وقتل سنة ٢٤٧هـ ، وله ٤١ سنة ، ودفن فى القصر الجعفرى بسر من رأى . (ابن ظافر الأزدى : جمال الدين أبو الحسن على بن منصور ظافر بن حسين الأزدى (ت ٦١٣هـ / ١٢١٦م) ، أخبار الدول المنقطعة ، حـ٢ ، الأردن ، ١٩٩٩م ، ص ٣٥٧).

(٢)يزيد بن عبد الله التركى ولى مصر من قبل الخليفة العباسى المنتصر سنة ٢٤٢هـ ، وخرج للرباط فى دمياط سنة ٢٤٥هـ ، ثم عاد للفرما للقاء الروم فلم يلقهم ، ثم صُرف يزيد بن عبد الله عنها ، فكانت ولايته عليها عشر سنين وسبعة أشهر وذلك سنة ٢٥٥هـ .الكندى : أبو عمر محمد بن يوسف الكندى (ت ٣٥٠هـ / ٩٦١م) كتاب الولاة وكتاب القضاة ، صححه رفن كست ، دار الكتاب الإسلامى ، القاهرة ، د.ت ، من ص ٢٠٢ إلى ص ٢٠٨ .

(٣)ابن مماتى : أسعد بن أبى المليح مماتى الوزير الأيوبى (ت ٦٠٦هـ / ١٢٠١م) كتاب قوانين الدواوين ، تحقيق عزيز سوريال عطية ، ط الأولى ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، ١٤١١هـ / ١٩٩١م ، ص ٧٥ ، ابن الوردى : سراج الدين بن الوردى ==

وما ورد من كتابات حول المقاييس التى شهدتها حقبة ما بعد الفتح ترجح أن المقياس هو عبارة عن بركة وسطها عمود طويل فيه علامات ، وعليه وكيل لمباشرة أمر القياس وكان هذا الوكيل من النصارى[١] .

==

(٧٤٩هـ / ١٣٤٩م) ، عجائب البلدان ، تحقيق وتعليق أنور محمود زنانى، ط١ ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ٢٠١١م ، ص ٤٨ ، الأقفهسى : شهاب الدين بن العماد الأقفهسى (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م) أخبار نيل مصر ، حققه ووضع حواشيه لبيبة إبراهيم مصطفى ، نعمات عباس محمد ، مطبعة دار الكتاب والوثائق القومية ، القاهرة ، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م ، ص ٦٨ ، المقريزى : الخطط ، م١ ، ح١ ، ص ٩٢ ، ٩٣ ، ابن تغرى بردى : جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى (ت ٨٧٤هـ / ١٤٠٧م) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، حـ٢ ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتاب مع استدراكات وفهارس جامعة ، مطبوعات وزارة الثقافة والإرشاد القومى ، د.ت ، ص ٣٧ ، السيوطى : الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م) كوكب الروضة فى تاريخ النيل وجزيرة الروضة، تحقيق محمد الششتاوى ، دار الآفاق العربية ، ط. الأولى ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م ، ص ١٤٧ ، ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، حـ٢ ، تحقيق وتقديم محمد مصطفى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ص ١٥٣، ١٥٤ ، أمين سامى باشا : تقويم النيل ، تصدير صلاح فضل ، أحمد زكريا الشلق ، حـ١ ، ط الثانية ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م ، ص ٦٥ .

(١)المنوفى : شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد السلام المنوفى (ت ٩٢٧هـ/ ١٥٢٠م)، كتاب الفيض المديد فى أخبار النيل السعيد ، تحقيق محمد الزاهى، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت ، ص ٩٣ ، المقدسى: أحسن التقاسيم ، ص ٤٠٦ .

ومن الجدير بالذكر أن أحمد بن طولون[١] قد بنى مقياسين أحدهما بقوص[٢] وهو قائم إلى اليوم – عصر المؤرخ السيوطى – والآخر بالجزيرة وقد انهدم[٣] .

أما عن المقياس الذى ظل باقيًا من عصر الولاة ، وحتى نهاية العصر المملوكى فقد ورد تعريفه على النحو التالى : فَسْقِيَّة مربعة يدخل إليها الماء من أسربة[٤] بين الحيطان ، وفى وسطها عمود رخام أبيض مثمن فى موضع ينحصر فيه الماء عند انسيابه إليه ، وهذا العمود مفصل على اثنين وعشرين ذراعًا مفصل على أربعة وعشرين قسمًا متساوية تعرف

---

(١)أبو العباس أحمد بن طولون ، كان أبوه مملوكًا أهداه نوح بن أسد السامانى عامل بخارى إلى المأمون سنة ٢٠٠هـ ، ومات طولون سن ٢٤٠هـ ، ولد أحمد بسر من رأى سنة ٢٢٠هـ ، دخل مصر سنة ٢٥٤هـ ، كان قد ولى مصر أيام المعتز ، ثم استولى على الشام والثغور . فى ولاية الموفق طلحة لعهد المعتمد ، كان عادلا وشجاعا يتفقد شئون الرعية ، بنى الجامع المنسوب إليه ، وتوفى بمصر سنة ٢٧٠هـ . (ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م) وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان ، حـ١ ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، د.ت ، ص ١٧٣ ، ١٧٤) .

(٢)قوص : من مدن الصعيد الأعلى بالجهة الشرقية من النيل ، تبعد عنه بمسافة كيلو متر واحد ، إلا أنها شديدة الحرارة كثيرة العقارب ، وهى محطة التجارة بين مصر وبحر اليمن ، وكانت قاعدة لإقليم يعرف بالأعمال القوصية نسبة إلى قوص من عهد الفاطميين إلى عهد الدولة المملوكية ، ثم أصبحت تابعة لإقليم قنا من سنة ١٨٢٦م . (محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، ق٢ ، حـ٤ ، ص ١٨٨ ، ١٨٩) .

(٣)السيوطى : كوكب الروضة ، ص ١٤٨ .

(٤)وهى جمع سرب ، ويقال من سَرِبَ الماء سربا : سال فهو سرب . المعجم الوجيز ، ص ٣٠٧ .

بالأصابع ، عدا الاثنى عشر ذراعًا الأولى فإنها مفصلة على ثمانية وعشرين إصبعا ، له قاعدتان سفلية وعلوية ، وفوقه جائزة خشبية فى وسط الفسقية ، وهى السقالة الخشب المحشوة رصاصًا لتعطى العمود الثقل المطلوب لتثبيته[١] .

وتجدر الإشارة إلى سبب تقسيم عمود المقياس على النحو السابق ، أن الخلافة العباسية لما كانت بصدد عمل قانون لرى البلاد المصرية ، والذى سيكون عليه مناط مقدار الجباية ، اجتمع المختصون فى ذلك على أن كفاية البلاد المصرية ستة عشر ذراعًا ، ولكنهم حين أعادوا اكتشفوا أن الكفاية فى ثمانية عشر ذراعًا ، فخافوا اتهام الخليفة المتوكل لهم بالعجز والتقصير ، فأضافوا قياس هذين الذراعين على الاثنى عشر ذراعًا الأولى ، فصار كل ذراع ثمانية وعشرين إصبعا[٢].

---

(١)ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٧٥ ، ص ٧٦ ، ابن جبير : محمد بن أحمد بن جبير (ت ٦١٤هـ / ١٢١٧م) ، رحلة ابن جبير ، دار صادر ، بيروت ، د.ت ، ص ٣٠ ، اليونينى : قطب الدين موسى بن محمد اليونينى (ت ٦٢٧هـ / ١٣٢٦م) ذيل مرآة الزمان ، دراسة وتحقيق حمزة أحمد عباس ، المجمع الثقافى ، ط . الأولى ، أبو ظبى ، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م ، ص ٦٠١ ، ابن الوردى : عجائب البلدان ، ص ٤٨ ، الأقفهسى : أخبار نيل مصر ، ص ٦٨ ، المقريزى : الخطط ، م١ ، حـ١ ، ص ٩٥ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، حـ٢ ، ص ٣١٠ ، ص ٣١١ ، السيوطى : كوكب الروضة ، ص ١٤٦ ، ص ١٤٧ ، ص ١٥٠ ، ابن إياس : بدائع الزهور ، حـ١ ، م١ ، ص ١٥٤ ، قاسم عبده قاسم : النيل والمجتمع المصرى فى مصر فى عهد سلاطين المماليك ، ط الأولى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٨م ، ص ٤٢ .

(٢)المنوفى : الفيض المديد ، ص ٩٢ .

والذى يجعل هذه الرواية قريبة من التصديق عدم وجود مبرر منطقى لذلك التقسيم.

ولابد أن نقف على أوقات زيادة النيل ، والتى ارتبط بها قياسه ، ومن ثم حدوث الرسوم التى اعتادها المصريون فى تلك المواسم .

يبدأ النيل فى الزيادة فى الخامس من شهر بؤونة ، وتصير زيادة واضحة فى الثانى عشر منه ، ثم يقاس فى الخامس والعشرين منه ، ثم يكون اندفاعه فى الثانى من أبيب ، ويكون كمال الزيادة وانتهاء مدته فى الثامن من بابه[١] ، ويأخذ فى النقص فى العشرين منه ، فتكون مدته وقت الزيادة وحتى النقص ثلاثة أشهر وعشرين يومًا ، وهى أبيب ومسرى وتوت[٢] وعشرون يوما من بابه[٣] ، ويوافقها من الشهور الميلادية وفقًا لما أورده ابن

---

(١)بابه : الشهر الثانى من الشهور القبطية ، ويقع فى فصل الخريف . المعجم الوجيز ، ص ٣٣ .

(٢)توت : أول شهور السنة القبطية ، ويقع فى أول الثلث الثانى من شهر سبتمبر ، المعجم الوجيز ، ص ٧٩.

(٣)بنيامين التطيلى : بنيامين بن يونه التطيلى الأندلسى (ت ٥٩٦هـ / ١١٢٣م) رحلة بنيامين التطيلى ، ترجمة عذرا حداد ، دراسة وتقديم عبد الرحمن عبد الله الشيخ ، ط الأولى ، المجمع الثقافى ، أبو ظبى ، ٢٠٠٦م ، ص ٣٥١ ، ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٧٤ ، ابن بطوطة : محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتى (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٨م) رحلة ابن بطوطة ، دار صادر ، بيروت ، د.ت ، ص ٤١ ، المقريزى : الخطط ، م١ ، حـ١ ، ص ٩٥ ، ص ٩٦ ، السيوطى : كوكب الروضة ، ص ٤٩ ، المنوفى : الفيض المديد ، ص ١٢١ ، ابن إياس : بدائع الزهور ، حـ١ ، ق١ ، ص ٥٤ .

جبير فى العصر الأيوبى ٥٦٧- ٦٤٨هـ / ١١٧١ -١٢٥٠م ابتداء الزيادة فى شهر يونيه ، ومعظم انتهائه أغسطس وآخره أول شهر أكتوبر[١] .

أما المقادير التى تعارف عليها المصريون فى قياس أحوال مياه النيل فهى على النحو الآتي ؛ إذا بلغت الزيادة ستة عشر ذراعًا فقد تحقق للبلاد والعباد الرى التام ، أما إذا بلغت الزيادة سبعة عشر ذراعًا استبحر من أراضى مصر الربع ، وهو ما يعنى حدوث الضرر لبعض الضياع بسبب الزيادة ، وإذا بلغت الزيادة ثمانية عشر ذراعًا نتج عنها الوباء بالديار المصرية[٢].

ومن المهم أن نشير إلى مهندس المقياس وهو أحمد بن كثير الفرغانى[٣] وقد عرف أحمد بن كثير بالفرغانى نسبة إلى

---

(١)ابن جبير : رحلة ابن جبير ، ص ٢٩ .

(٢)ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٧٦ ، ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، ص ٤١ ، المقريزى : الخطط ، م١ ، حـ١ ، ص ٩٥ ، ابن إياس : بدائع الزهور ، حـ١ ، ق١ ، ص ١٥٥ .

(٣)أبو العباس أحمد بن محمد بن كثير الفرغانى (نسبة إلى فرغانة بآسيا الوسطى) ، وهو واحد من علماء الفلك الذين عاشوا فى القرن الثالث الهجرى التاسع الميلادى ، وهو من معاصرى العلامة محمد بن موسى الخوارزمي ، وله كتب كثيرة فى علم الفلك مثل كتاب الفصول ، واختصار المجسطى ، وكتاب العمل بالرخامات ، ومن المرجح أن وفاته كانت بعد سنة ٢٦٥هـ / ٨٧٨م ، والثابت أنه توفى بمصر ودفن بها ، (ابن الزيات: شمس الدين أبو عبد الله محمد الأنصارى (ت ٨١٤هـ / ١٤١١م) ، الكواكب السيارة فى ترتيب الزيارة ، طبعة بولاق ، القاهرة ، ١٣٢٥هـ ، ص ١٤٣ ، ابن النديم : أبو الفرج محمد ابن إسحاق بن محمد بن إسحاق الوراق البغدادى (ت ٣٨٤هـ / ٩٨٨م) الفهرست ،مطبعة الرحمانية ، القاهرة ، ١٣٤٨هـ ، ص ٣٨٩ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، حـ٢ ، ص ٣١١) .

فرغانة[١] مسقط رأسه ، وأُشير إليه مرة أخرى بالحاسب نسبة إلى العلم الذى برع وتخصص فيه ، وكان المتوكل قد أرسل كتابًا بما يُكتب على المقياس ، فنص على آيات القرآن التى تشبه أمر المقياس ، واسم أمير المؤمنين[٢] .

فكُتب على الجانب الشرقى (وهو المقابل لمدخل المقياس) : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيد﴾[٣] وفى الجانب الشمالى ﴿ وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيج﴾[٤] ، وعلى الجانب الغربى ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِير﴾[٥] وعلى الجانب الجنوبى ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيد﴾[٦] فصارت هذه الآيات مسطورة على وجه الماء إذا بلغ سبعة عشر ذراعًا[٧] .

---

(١)فرغانة : مدينة ببلاد ما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان ، وقصبتها أسبيذ يلان ، وهى وراء الشاش خلف نهر جيحون ، ينسب إليها جمع كبير من العلماء والفضلاء، وهى الآن إحدى محافظات أوزبكستان . (أبو الفدا : عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر المعرف بأبى الفدا (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م) تقويم البلدان ، تصحيح رينود ، وماك كوكين ديسلان ، باريس ، ١٨٤٠م ، ص ٥٠٣).

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، م٣ ، ص ١١٣ .

(٣)سورة ق : آية ٩ .

(٤)سورة الحج : آية ٥ .

(٥)سورة الحج : آية ٦٣ .

(٦)سورة الشورى : آية ٢٨ .

(٧)ابن خلكان : وفيات الأعيان ، م٣ ، ص ١١٣ .

وكتب بإزاء الذراع الثامن عشر سطر واحد يحيط بجميع التربيع : بسم الله الرحمن ﴿اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَوَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَوَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّار﴾[١] .

وكتب عليه أيضًا " مقياس يمن وسعادة ونعمة وسلامة أمر ببنائه عبد الله جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين أطال الله بقاءه وأدام عزه وتأييده على يدى أحمد بن محمد الحاسب سنة سبع وأربعين ومائتين "[٢] .

كان النصارى يتولون أمر المقياس قديمًا ، من حيث قياس زيادة المياه ، وتنظيف المجارى، ومطالعة حكام مصر بمبلغ الزيادة ، ثم ورد كتاب الخليفة العباسى المتوكل على قاضى مصر بكار بن قتيبة[٣] ، بأن لا يتولى ذلك إلا مسلم يختاره ، فاختار القاضى بكار لذلك أبا الرداد عبد الله بن عبد

---

(١)سورة إبراهيم : آية ٣٢ – ٣٤ .

(٢)ابن خلكان : وفيات الأعيان ، م٣ ، ص ١١٤ .

(٣)قدم بكار بن قتيبة على قضاء مصر من قبل المتوكل سنة ست وأربعين ، وكان عفيفًا عن أموال الناس محمودا فى ولايته ، وكان يذهب إلى قول أبى حنيفة ، وتعلم الشروط بالبصرة ، ولم يزل قاضيًا حتى بعد حدوث المغاضبة بينه وبين ابن طولون بسبب رفضه لعن الموفق ولى عهد الخلافة ، ثمّ أودعه السجن ، ولم يقطعه عن مجلس العلم والدرس ، ولما مات ابن طولون أطلق بكار فمات بعد أيام . (الكندى : الولاة والقضاة، ص ٤٧٦).

السلام المؤذن[١] ، فأقامه لمراعاة المقياس وأجرى عليه الرزق وبقى ذلك فى ولده إلى اليوم[٢] .

وكانت الخلافة قد أدركت أهمية وظيفة القائم على هذا العمل ، فأوكلت اختياره لقاضى مصر ، والذى بدوره اختار له أحد المحدثين ، والذى كان يعمل مؤذنًا ، ومن المؤكد أن يكون قد ثبت له ضبطه وصدقه وكفايته لهذا المنصب وهذا العمل ، ويتضح من خلال عرض مادة هذه الدراسة توارث أبناء الرداد لذلك العمل حتى نهاية حقبة البحث (أى طيلة العصر الإسلامى) ، وهذا ما أشار إليه السيوطى بقوله : ويتولاه من العهد القديم متوليًا من بنى أبى الرداد ممن هو معروف بالنزاهة والعلم والسداد ، وله راتب ورسم وقرار[٣] .

ولم يركن بنو الرداد إلى عملهم ، بل نراهم فى مصاف العلماء والأعيان على مر العصور، ومنهم أحمد بن على المصرى، ومحمد الضرير،

---

(١)هو عبد الله بن عبد السلام بن عبد الله بن أبى الرداد البصرى ، قدم مصر وحدث بها ، وجُعل على قياس النيل ، فأجرى عليه سليمان بن وهب صاحب خراج مصر سبعة دنانير فى كل شهر فلم يزل القياس من ذلك الوقت فى أيدى أبى الرداد وأولاده إلى يومنا هذا ، ومات ابن الرداد فى سنة ست وستين ومائتين . ابن يونس: تاريخ ابن يونس، ق٢، تاريخ الغرباء ، ص ١١١، ابن خلكان: وفيات الأعيان، م٣، ص١١٢.

(٢)ابن يونس : تاريخ الغرباء ، ص ١١١ ، المقريزى : الخطط ، م١ ، حـ١ ، ص ٩٣ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، حـ٢ ، ص ٣١١ ، السيوطى : كوكب الروضة ، ص ١٤٨ ، ابن إياس : بدائع الزهور ، م١، حـ١ ، ص ٩٣ .

(٣)السيوطى : كوكب الروضة ، ص ١٥٦ ، المنوفى : الفيض المديد ، ص ٩٣ .

ويعرفون بأبناء الرداد أمناء النيل[١]وكذا محمد ابن على بن محمد بن عمر عبد الله ناصر الدين أبو الفضل بن العلاء القاهربالحنفى وولده الجلال محمد ويعرف بابن الردادى ، اشتغلوا بالتجارة وطلبوا العلم[٢].

ومن الرسوم التى جرت بها عادة المصريين تجاه قياس ماء النيل قبيل إنشاء المقياس الجديد والتى سارت سنة تتبع ما أوردته المصادر على لسان بعض أعيان مصر بقوله : أدركت المقياس بمنف[٣] ويدخل القياس بزيادته كل يوم إلى الفسطاط[٤] ، أى يدخل الفسطاط ليوقف الناس على مقدار الزيادة بصفة يومية[٥] .

---

(١)السخاوى : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى (ت ٩٠٢هـ / ١٤٩٧م) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، حـ٢ ، دار الجيل ، بيروت ، د.ت ، ص ٤٦ .

(٢)السخاوى : الضوء اللامع ، حـ٩ ، ص ٨ ، ص ٩ .

(٣)من مدن مصر القديمة فى أول الصعيد غربى النيل ، واسمها القديم (مافه) أى مدينة الثلاثين وبالرومية منفيس ، وهى من أعمال الجيزة ومكانها الآن قرية ميت رهينة ، مركز البدرشين . (محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، ق١ ، ص ٤٢٢) .

(٤)الفسطاط : أول مدينة أنشأها العرب فى مصر بعد فتحها ، فقد اختطها عمرو بن العاص فى سنة عشرين هجرية ، ٦٤١م فى الجهة الشمالية الشرقية من قصر الشمع . (محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، ق١ ، ص ٩٢).

(٥)ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، حـ٢ ، ص ٣١٠ ، أمين سامى باشا : تقويم النيل ، حـ ١ ، ص ٦٥ .

وعن كيفية قياس مقدار زيادة مياه النيل ، فقد ورد أن القيَّاس يتولى أخذ قاع النهر (أى ارتفاع منسوب الماء القديم فى النهر) فى السادس والعشرين من شهر بؤونة ليكون أساسًا تحسب عليه الزيادة[١] .

ولم تؤثر معلومة تحمل دلالة على أى رسوم تتعلق بأمر القياس فى حد ذاته ، خلال عصر الولاة ، والعصر الطولونى ، والعصر الإخشيدى ، وذلك فيما عدا ما ورد عن اهتمام أحمد ابن طولون بأمر المقياس ، وركوبه إليه لتفقده فى بعض أيام عام تسع وخمسين ومائتين يصحبه صاحب الخراج والقاضى ، وأنه أمر بإصلاحه وقدر له ألف دينار[٢] ، ولم تزد المصادر على ذكر مقدار الزيادة أو النقص دون الإشارة إلى حدوث أى رسوم تتعلق بالأمر[٣] .

---

(١)السيوطى : كوكب الروضة ، ص ١٥١ ، قاسم عبده قاسم : دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى ، عصر سلاطين المماليك ، ط الثانية ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٣م ، ص ١٠٦ .

(٢)ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، حـ٢ ، ص ٣١١ ، السيوطى : كوكب الروضة ، ص١٤٧ ، ص١٤٨، ابن إياس: بدائع الزهور، حـ١، ق١، ص ١٦٤، ص ١٦٥.

(٣)عبد اللطيف البغدادى : عبد اللطيف البغدادى بن يوسف بن محمد البغدادى (ت ٦٢٩هـ / ١٢٣١م) رحلة عبد اللطيف البغدادى فى مصر أو كتاب الإفادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر ، ط الثانية ، إشراف وتقديم عبد الرحمن عبد الله الشيخ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٨م ، ص ١٣١ ، الدوادارى : أبو بكر عبد الله بن أيبك (ت ٧٣٢هـ / ١٣٠٣م) درر التيجان وغرر تواريخ الزمان، بدون إيضاح أكثر من ذلك ، ص ٤٥ ، ص ٤٧ ، ابن إياس : نشق الأزهار ، ص ٧٦ .

المبحث الثانى: رسوم قياس زيادة مياه النيل فى عهد الدولة الفاطمية

١- من أوائل الرسوم التى تطالعنا فى العهد الفاطمى أنه كان للمقياس عند مبتدأ الزيادة خمسون دينارا تصرف لابن أبى الرداد بسبب كنس مجارى ماء النيل - والتى أشير إليها عند تعريف المقياس (أسربة بين الحيطان) - حتى يدخل إلى فسقية المقياس[١] .

ويبدو أن هذا هو المبلغ المقرر لابن أبى الرداد مقابل عمله إلا أنه زيد فيه خاصة وأن راتبه المقرر عند بداية عمله بالمقياس هو سبعة دنانير ، فزيد فيها فى العصر الفاطمى .

٢- ومن الرسوم التى أثرت عن العهد الفاطمى ، ورود مركب صغير من مدينة قوص[٢] ، تسمى المفرد[٣] ، وبها رجل واحد يُقِّذف وعليه أسابيط بلح تظله من حر الشمس حتى يصل فيبشر بوفاء النيل قبل أن يبشر به بن أبى الرداد ، وكان له معلوم على أرباب الدولة فى

---

(١)المقريزى : الخطط ، م١ ، حـ١ ، ص ٩٨ ، السيوطى : كوكب الروضة ، ص ١٥٠ ، ابن إياس : بدائع الزهور ، حـ١ ، ص ١٥٧ .

(٢)قوص : من المدن القديمة بالصعيد الأعلى شرقى النيل ، شديدة الحرارة ، كانت قاعدة إقليم يعرف بالأعمال القوصية فى العصر الفاطمى إلى آخر الحكم المملوكى ، ثم اندمجت إلى ولاية جرجا ، ثم تبعت إقليم قنا عندما أنشئ سنة ١٨٢٦م ، ثم سمى بمركز قوص من سنة ١٨٩٠م . (محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، ق٢ ، حـ٤ ، ص ١٨٧ ، ص ١٨٨ ، ص ١٨٩) .

(٣)يتضح معناه مما جاء بعده فى المصدر: أنه به رجل واحد يقذف ، وهو ما يعنى أنها مركب صغيرة معدة لشخص واحد (ابن إياس : بدائع الزهور ، حـ١ ، ق١ ، ص ١٥٧) .

كل سنة[١] ، ويبدو أن هذا الرسم ظل معمولاً به فيما بعد الدولة الفاطمية ، وهو ما سيتم العرض له فى موضعه .

ومن الأشعار التى أشارت إلى المفرد المبشر بالنيل ما أورده ابن إياس بقوله :

إن كان مد النيل قد سركم وقد بلغتم بالوفاء المنى

فالنيل من بعدكم أد معى ، نعم ، وما المفرد إلا أنا[٢]

ومن أحسن السياسات التى أُثرت عن الدولة الفاطمية أمر النداء على زيادة النيل ، حيث أصدر الخليفة المعز لدين الله[٣] أمرًا بعدم الكتابة بزيادة النيل إلا إليه ، وإلى القائد جوهر[٤] ، وعندما تتم الزيادة ستة عشر ذراعا يباح النداء ، وذلك لأن توقف النيل عن الزيادة تؤدى إلى ترقب الناس

---

(١)ابن إياس : بدائع الزهور ، حـ١ ، ق١ ، ص ١٥٧ .

(٢)ابن إياس : بدائع الزهور ، حـ١ ، ق١ ، ص ١٥٧ .

(٣)أبو تميم معد المعز لدين الله ، ولد بالمهدية سنة ٣١٩هـ / ٩٣١م ، تقلد الخلافة الفاطمية بالمغرب بعد أبيه ٣٤١هـ / ٩٥٢م ، وهو من نقل الخلافة إلى مصر ، ومدة خلافته بها ثلاث سنين ، توفى سنة ٣٦٥هـ / ٩٧٥م ، وعمره خمس وأربعون سنة . ابن القلانسى : حمزة بن أسد بن على بن محمد أبو يعلى التميمى الدمشقى (ت ٥٥٥هـ / ١١٦٠م) ذيل تاريخ دمشق ، مكتبة المتبنى ، بغداد ، د.ت ، ص ١٤ .

(٤)جوهر بن عبد الله ، القائد أبو الحسن الصقلبى الرومى مولى المعز لدين الله ، ولد سنة ٣١٢هـ ، أهدى إلى المنصور والد المعز فحمله إلى المعز ، وترقى فى خدمته حتى تولى الوزارة سنة ٣٤٥هـ ، وسيره إلى مصر فدخلها وأحرز الانتصارات للمعز ، ومن بعده للعزيز ، مات بمصر سنة ٣٨١هـ .(المقريزى : المقفى الكبير ، تراجم مغربية ومشرقية ، تحقيق محمد اليعلاوى ، ط الأولى ، دار الغرب الإسلامى ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، ص ٣٢٧ إلى ص ٣٥٢).

وقلقهم ، فضلاً عن طمع أصحاب النفوس الضعيفة من أصحاب الغلال وتُجَّارها ، وامتناعهم عن بيع الغلال رجاء ارتفاع السعر ، فكان فى كتمان الزيادة والمناداة عليها عظيم الفائدة[١] .

هذا وقد وقع الاهتمام لدى خلفاء الدولة الفاطمية بأمر النيل ، والاحتفال به ، والاهتمام برسومه ، وذلك بداية من عهد الخليفة المعز لدين الله ، ولازالت تلك الرسوم تتطور ويزاد فيها بحسب الرغبة فى إظهار السرور والأبهة ، ومدى عظمة الدولة ، وحسب الحالة السياسية التى تعيشها البلاد ، وهذا يعنى أن تلك الرسوم قد بدأت بدائية متواضعة ، وما لبثت أن تطورت وتم التوسع فيها .

وإذا أذن الله تعالى بزيادة النيل طالع ابن أبى الرداد بما استقر عليه أذرع القاع فى اليوم الخامس والعشرين من بؤونة ، ويؤرخه بما يوافقه من أيام الشهور العربية ، فيعرف أصل القاع ، والزيادة بعد ذلك فى كل يوم تؤرخ بيومه ، وهو يكتم هذا الأمر ، ولا يعلم به أحد إلا الخليفة والوزير (كما سبق) وذلك حتى ينتهى الوفاء إلى الذراع السادس عشر ، ولم يبق منه إلا إصبع أو إصبعان[٢] .

---

(١)ابن الطوير : أبو محمد المرتضى عبد السلام الحسن القيسرانى (ت ٦١٧هـ / ١٢٢٠م) نزهة المقلتين فى أخبار الدولتين ، تحقيق وتقديم أيمن فؤاد سيد ، ط الأولى ، (دار النشر فرانتس شتايز شتوتغارت) ، دار صادر، بيروت ، د.ت ، ص ١٩٠ ، المقريزى : الخطط ، م١ ، حـ١ ، ص ٩٧ ، ص٩٨.

(٢)ابن الطوير : نزهة المقلتين ، ص ١٩٠ ، بنيامين التطيلى : رحلة بنيامين التطيلى ، ص ٣٥٢ ، القلقشندى: أبو العباس أحمد (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، دار الكتب الخديوية ، المطبعة الأميرية بالقاهرة ، ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م ، حـ٣ ، ص ٥١٦ .

ولا يخفى ما فى هذا الأمر من مراعاة استقرار أوضاع البلاد ، ومنع سياسة الاحتكار ، والمتاجرة بأقوات الناس ، وهى سياسة حكيمة ؛ لما فيها من نفع للبلاد والعباد.

وعند وصول الزيادة إلى حد الوفاء يترتب عليها رسوم أخرى ، فيما يجب عمله نحو ذلك ، ومنها :

٣- تسبيل الستر الخليفى الأسود على شباك المقياس ، وإذا شاهد الناس هذا الستر تباشروا بالوفاء ، واجتمعوا للفرجة من كل ناحية[١] .

٤- المناداة بأرجاء البلاد على تلك الزيادة ، وهو ما يؤكد أنه كان هناك أناس مرتبون لهذا العمل ، وقد أطلق عليهم اسم (مناديو البحر) [٢] ، وكانوا ينادون ببلوغ حد الوفاء الذى لا يخشى معه حدوث اضطراب أو مجاعة ، وكان لهم عبارات يرددونها فى الشوارع ، ومن ذلك قولهم : " نعم لا تحصى من خزائن لا تفنى زاد الله فى النيل المبارك كذا "[٣]

٥- ومن تلك الرسوم أيضًا الكتابة بالبشارة لولاة الأعمال ، اهتمامًا بشأن النيل ، وإظهارًا للسرور بوفائه ، وللقيام بما يجب القيام به نحو تلك

---

(١)السيوطى : كوكب الروضة ، ص ١٤٦ ، قاسم عبده قاسم : دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى ، ص ١٠٧ .

(٢)طافور : بيرو طافور زار مصر فى القرن السابع الهجرى / الخامس عشر الميلاد ، رحلة طافورفى عالم القرن الخامس عشر الميلادى ، ترجمة وتقديم حسن حبشى ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، د.ت ، ص٧٣، - ٧٤ .

(٣)المقريزى : الخطط ، م١ ، حـ١ ، ص ٩٨ .

الزيادة[١] ، ولم تقتصر الكتابة بالبشارة على أعمال الديار المصرية ، وإنما كانت المكاتبة بالبشارة تشمل نواب الأعمال الشامية[٢] .

وربما صدرت الأوامر للجهات التى يصير إليها البريدى بجباية قدر من الأموال له على سبيل البشارة ، وإذا كان العدل شائعًا فى ذلك الوقت ، فلا يجبى للبريدى شيء بهذه البشارة[٣] .

ومن نصوص البشارة بوفاء النيل لولاة الأعمال ما أنشأه ابن الصيرفى: " أولى ما تحدث به ناقله وراويه ، وتعجل المسرة به حاضره ورائيه ، ما كانت الفائدة به شائعة لا تتحيز ، والنعمة به ذائعة لا يتخصص أحد بشمولها ولا يتميز ... وذلك ما من الله به من وفاء النيل المبارك ، وأنه انتهى فى يوم كذا من سنة كذا إلى ستة عشر ذراعًا وزاد إصبعًا من سبع عشرة ذراعًا ، وقد سيرنا أيها الأمير فلانًا بهذه البشرى إليك ، وخصصناه بالورود عليك ، فتلقها من الشكر بمستوجبها ، واستقبلها من الابتهاج والاغتباط بما يليق بها ، واجعل الرسوم التى جرت العادة بتوظيفها لفلان بن أبى الرداد محمولة من جهتك إلى حضرتنا لتولى إليه من جهتنا "[٤] .

وما ورد بهذا الكتاب يؤكد على حصول ابن أبى الرداد على رسوم من كل ولاة الأعمال الذين يبشرون بالوفاء ، وأن هذا القدر كان يحمل إلى الحاكم بالعاصمة ثم يدفع الى ابن أبى الرداد ، وهو ما يؤكد أن ما يحصل عليه من أجر لم يكن قاصرًا على الراتب المقرر له .

---

(١)القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ٨ ، ص ٣٢٨ .

(٢)القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ٨ ، ص ٣٢٩ .

(٣)القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ٨ ، ص ٣٣٠ .

(٤)القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ٨ ، ص ٣٣٠ .

٦- ومن الرسوم التى تلى (تسبيل الستر الخليفى والمناداة بالزيادة والمكاتبة بالبشارة) أمر الخليفة بأن يحمل للمقياس من المطابخ عشرة قناطير من الخبز ، وعشرة من الخراف المشوية ، وعشرة من جامات[١]الحلواء ، وعشر شمعات ، كما يؤمر بالمبيت فى تلك الليلة بالمقياس ، ويحضر إليه القراء والمتصدرون بالجوامع بالقاهرة ، ومن يجرى مجراهم ، فيستعملون ذلك ، ويوقدون الشمع عليهم من العشاء وهم يتلون القرآن برفق ، ويختمون الختمة الشريفة ، ويكون هذا الاجتماع فى جامع المقياس[٢] عند الوفاء[٣] .

٧- يتلو هذه الرسوم رسم تخليق المقياس ، وهو أمر يطول الحديث عنه ، حيث يستدعى الوزير إلى القصر ، ويركب الخليفة بهيئة أيام الركوب[٤] ولكن بغير مظلة ، ويخرج من القصر شاقًّا القاهرة إلى

---

(١)الجامات : مفردها جام بمعنى الكأس . (الشابشتى : أبو الحسن على بن محمد المعروف بالشابشتى (ت ٣٨٨هـ / ٩٩٨م) الديارات ، تحقيق كوركيس عواد ، ط الثانية ، دار الرائد العربى ، بيروت ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، ص ٤٢) .

(٢)جامع المقياس بناه بدر الجمالى سنة ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م ، حول المقياس عند الطرف الجنوبى لجزيرة الروضة ، وذلك فى خلافة المستنصر بالله الفاطمى. (ابن الطوير : نزهة المقلتين ، ص ١٩١) .

(٣)ابن الطوير : نزهة المقلتين ، ص ١٩٠ ، ص ١٩١ ، المقريزى : الخطط ، م١ ، حـ٢ ، ص ٣٦٢ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، حـ٤ ، ص ٩٩ .

(٤)كان الخليفة يركب فى كل يوم سبت وثلاثاء إلى منتزهاته بالبساتين والتاج وقبة الهواء والخمس وجوه ، وبستان البعل ودار الملك ومنازل العز والروضة ، فيعم الناس فى هذه الأيام الصدقات ما بين المأكل والمشرب وحلاوات وذهب وغير ذلك .(المقريزى : الخطط ، م١ ، حـ٢ ، ص ٣٩٢) .

باب زويلة[١] متخذًا طريقه سالكًا على جامع ابن طولون[٢] حتى يصل إلى ساحل مصر ، وعندئذ يترجل الوزير بين يديه ، ويسبقه إلى المكان المعد له ، على أن يكون قد حمل فى الليلة السابقة على هذا اليوم البيت المتخذ للعشارى[٣] الخاص من قصر الخلافة ، وتسليمه رئيس العشاريات ويركبه على العشارى المختص بالخليفة ، ويجعل باكر ذلك – اليوم الذى يركب الخليفة فيه – على الباب الذى يخرج منه للركوب إلى المقياس[٤].

---

(١) بناه أمير الجيوش بدر الجمالى سنة ٤٨٥هـ ، وعمل فى بابه زلاقة من صوان حتى لا تثبت عليها قوائم الخيول عند الهجوم عليه ، ولكنها نقضت فى العصر الأيوبى ، وهو باقٍ إلى اليوم ، (المقريزى : الخطط ، م١ ، حـ٢ ، ص ٢٠٩ ، ص ٢١٠).

(٢)بناه أبو العباس أحمد بن طولون بعد بناء القطائع سنة ٢٦٣هـ على موضع بجبل يشكر ، وذلك لما ضاق عليه المسجد الملاصق للشرطة ، وهذا الموضع معروف بإجابة الدعاء ، ويقال إن موسى ناجى ربه عليه ، (المقريزى : الخطط ، م٢ ، حـ٤ ، ص ٣٦) .

(٣)هو بيت مثمن من عاج وأبنوس عرض كل جزء ثلاثة أذرع ، وارتفاعه قامة رجل تام ، وتجمع الأجزاء الثمانية فيصير بيتًا ، وعليه قبة من خشب محكم الصناعة ، وهو ملبس بصفائح الفضة والذهب . (ابن الطوير : نزهة المقلتين ، ص ١٩٣) ، وهذا العشارى نوع من المراكب يعبر عنه فى العصر المملوكى بالحراقة ، (القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ٣ ، ص ٥١٧) .

(٤)ابن الطوير : نزهة المقلتين ، ص ١٩٣ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ٣ ، ص ٥١٦ ، ص ٥١٧ ، المقريزى : الخطط ، م١ ، حـ٢ ، ص ٣٦٢ ، ص ٣٦٣ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، حـ٤ ، ص ٩٩، ص ١٠٠ ، السيوطى : كوكب الروضة ، ص ١٦٢ .

ويصحب الخليفة ثلاثة أو أربعة من خواصه ، وكذا الوزير يصحبه اثنان أو ثلاثة من خواصه ، ثم يطلعون إلى العشارى ، ولا يجلس فى العشارى سوى الخليفة باطنًا ، والوزير ظاهرًا أى خارج القبة أو البيت ، ومعهم فوانيس من خشب مخروط مدهونة مذهبة عليها ستور مسدلة ، ويسير العشارى من باب المنظرة[١] حتى يصل إلى باب المقياس[٢] .

ويطلع الخليفة والوزير إلى المقياس ، ويدخلان الفسقية ، ويصلى هو والوزير ركعات كل واحد بمفرده ، فإذا فرغا من صلاتهما أقبلا على الرسم التالى وهو :

٨- تخليق المقياس : حيث يدعى بالآلة التى بها الزعفران[٣] والمسك[٤] فيذيبهما فى إناء بيده بآلة معًا ثم يتناولها صاحب بيت المال فيناولها لابن أبى الرداد فيلقى نفسه فى الفسقية وعليه ثيابه ، فيتعلق

---

(١)المنظرة بدار الملك التى يخرج من بابها إلى البحر : (ابن الطوير : نزهة المقلتين ، ص ١٩٣ ، المقريزى : الخطط ، م١ ، حـ٢ ، ص ٣٧٤) .

(٢)ابن الطوير : نزهة المقلتين ، ص ١٩٣ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ٣ ، ص ٥١٧ ، المقريزى: الخطط ، م١ ، حـ٢ ، ص ٣٦٣ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، حـ٤ ، ص ١٠٠ ، السيوطى : كوكب الروضة ، ص ١٦٢ .

(٣)الزعفران : نبات بصلى معمر ، من الفصيلة السوسنية ، منه أنواع برية ، ونوع صبغى طبى مشهور ، المعجم الوجيز ، ص ٢٨٨ .

(٤)المسك : ضرب من الطيب يتخذ من ضرب من الغزلان ، المعجم الوجيز ، ص ٥٨٢ .

فى العمود برجليه ويده اليسرى ، ويخلقه بيده اليمنى ، وقراء الحضرة يقرءون القرآن[١] .

ويبدو أن حضور صاحب بيت المال يسبق حضور الخليفة والوزير خاصة وأنه لم ترد الإشارة إلى حضوره برفقتهما .

والخليفة بعد ذلك بالخيار بين العودة إلى دار الملك[٢] بالقاهرة أو المسير بالعشارى إلى المقس[٣] ويتبعه الموكب ويسير من هناك إلى القاهرة، ويكون فى البحر الكثير من السفن المشحونة بالعالم فرحًا بوفاء النيل[٤].

ولم يكن التخليق قاصرًا على الخليفة فى العصر الفاطمى ، فقد أشارت بعض المصادر إلى قيام الوزير بهذا الأمر فى أواخر العصر الفاطمى ، حيث ورد : " توجه المأمون[٥]

---

(١)ابن الطوير : نزهة المقلتين ، ص ١٩٣ ، ص ١٩٤ ، المقريزى : الخطط ، م١ ، جـ٢ ، ص ٣٦٣ ، السيوطى : كوكب الروضة ص ١٦٢ .

(٢)من جملة مناظر الفاطميين: أنشأها الأفضل بن أمير الجيوش سنة ٥٠١هـ ، وسكنها ، ولما قتل صارت من جملة متنزهاتهم ، حتى انقرضت الدولة ، (المقريزى : الخطط ، م١ ، حـ٢ ، ص ٣٧٤) .

(٣)المقس : كان قديمًا قرية تعرف بأم دنين ، (والمقس محرفة عن مكس ، والمكس : الجباية ، وهى دراهم كانت تؤخذ من بائع السلع فى الأسواق) ، وهى محلة بظاهر القاهرة فى بر الخليج الغربى ، وهناك أنشأ المعز لدين الله دار الصناعة (صناعة السفن) . المقريزى : الخطط ، م٢ ، حـ٣ ، ص ١٩٦ ، ص ١٩٧ .

(٤)ابن الطوير : نزهة المقلتين ، ص ١٩٤ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ٣ ، ص ٥١٧ ، السيوطى : كوكب الروضة ، ص ١٦٢ .

(٥)هو أبو عبد الله محمد بن الأمير نور الدولة أبى شجاع فاتك ابن الأمير منجد الدولة أبى الحسن مختار المستنصرى ، خدم الأفضل بن أمير الجيوش من سنة ٥٠١هـ ، واعتمد عليه الأفضل فى جميع أموره ، ثم تولى الوزارة للآمر بعد قتل الأفضل ، واستمرفى تدبير الأمور للآمر حتى ==

إلى صناعة العمائر[١] فى مصر ورميت العشاريات بين يديه وعدى فى إحدى العشاريات إلى المقياس وخلق العمود بما جرت به عادتهم من الطيب"[٢] .

وفى اليوم التالى للتخليق يأتى ابن أبى الرداد إلى الإيوان[٣] الكبير الذى فيه الشباك بالقصر فيجد خلعة[٤] مذهبة ، ويدفع إليه خمسة أكياس فى كل كيس خمسمائة درهم مهيأة له ، فيلبس الخلعة ويخرج من باب

==

سنة ٥١٩هـ ، حيث قبض عليه الآمر مع إخوته الخمسة فاعتقلهم ثم صلبهم سنة ٥٢٢هـ . المقريزى : الخطط ، م١ ، حـ٢ ، ص ٣٤٠ ، ص ٣٤١ .

(١)المكان المعد لإنشاء المراكب البحرية التى يقال لها السفن ، وهى بمصر نيلية وحربية ، النيلية تمر بالنيل صاعدة ومنحدرة تحمل الغلال ، والحربية لغزو العدو ، وقد بنى المعز دار الصناعة بالمقس ، وبمصر مواضع أخرى عرفت بالصناعة كساحل مصر ، وجزيرة الروضة ، (المقريزى : الخطط ، م٢ ، حـ٣ ، ص ٣٠٧ ، ص ٣١٧ ، ٣١٩) .

(٢)ابن المأمون البطائحى : جمال الدين أبو على موسى بن المأمون البطائحى (ت ٥٨٨هـ / ١١٩٢م) نصوص من أخبار مصر ، تحقيق وتقديم أيمن فؤاد سيد ، المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية ، القاهرة ، د.ت ، ص ٧٥ .

(٣)الإيوان : مجلس كبير على هيئة واسعة ، له سقف محمول من الأمام على عقد يجلس فيه كبار القوم ، ومنه إيوان كسرى ، (المعجم الوجيز ، ص ٣٢) .

(٤)يقال خلع عليه خلعة أى أعطاه أو ألبسه إياها ، وهى من الثياب ، المعجم الوجيز ، ص ٢٠٨ .

العيد[١] ، وقد أعدت له خمسة بغال على ظهورها أحمال مزينة ، وعلى ظهر كل بغل راكب ، وبيده أحد الأكياس الخمسة بصورة ظاهرة، وأقارب بن أبى الرداد وبنو عمه وأصدقاؤه حوله يحجبونه ، وأمامه الأبواق السلطانية تضرب ، والطبل وراءه مثل الأمراء ، فيشق بين القصرين ، وكلما مر على باب من أبواب القصر يدخل منه الخليفة أو يخرج ينزل ويقبله ثم يخرج من باب زويلة ، ثم يشق وسط القاهرة ويمر بالجامع العتيق[٢] ويجاوزه إلى شاطئ النيل ، ثم يعدى إلى المقياس بخلعته ، وما معه من أكياس فيأخذ منها قدرًا مقدرًا له ، ويفرق الباقى على بنى عمه وغيرهم[٣] .

٩- أما عن الرسم التالى فيكون فى اليوم الثالث أو الرابع من تخليق المقياس ، حيث يكون ركوب الخليفة لفتح الخليج[٤]

---

(١)قيل لهذا الباب باب العيد لأن الخليفة كان يخرج منه فى يومى العيد إلى المصلى بظاهر باب النصر ، فيخطب بعد أن يصلى .(المقريزى : الخطط ، م١ ، حـ٢ ، ص ٢٩٧).

(٢)أول مسجد أسس فى مصر بعد الفتح ، وقد توالت عليه الزيادات والتجديد ، ويقال له مسجد مصر وتاج الجوامع ، وجامع عمرو بن العاص ، وبنى على الموضع الذى اتخذه قبيسة بن كلثوم التجيبى ، وتصدق بهذا الموضع على المسلمين .(المقريزى : الخطط ، م٢ ، حـ٤ ، ص ٤ ،٥).

(٣)ابن الطوير : نزهة المقلتين ، ص ١٩٤ ، ص ١٩٥ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ ٣ ، ص ٥١٧ ، ص ٥١٨ ، السيوطى : كوكب الروضة ، ص ١٦٢ .

(٤)هذا الخليج بظاهر القاهرة من جانبها الغربى ، فيما بينها وبين المقس ، عرف فى أول الإسلام بخليج أمير المؤمنين ، وتسميه العامة فى عصر المقريزى (المملوكى) بالخليج الحاكمى ، وبخليج اللؤلؤة ، كان قد حفره فى القديم أحد ملوك مصر ، ثم ==

أى فتح سده[١] ، وهو يوم حافل بالرسوم بداية من زى الخليفة مرورا بأنواع الأطعمة التى تعد لركب الخليفة ومرافقيه أثناء التفرج على فتح الخليج ، مرورًا بالطبول والبوقات ، والطريق الذى يسير فيه الموكب ، ثم جلوس الناس فى الخيام على قدر رتبهم ، وما يتلو ذلك من الإشارة بفتح الخليج ، ودق الطبول والبوقات أثناء ذلك ، ثم مد السماط[٢] ، وبعد تمام فتح الخليج وانتظام الماء فيه تدخل فيه العشاريات اللطاف ثم العشاريات الكبار وهن سبع على الترتيب الذهبى: (الذى يركبه الخليفة يوم التخليق) والفضى والأحمر

==

جدده أحد ملوك الروم ، ثم جدده عمرو بن العاص ، وبلغت مدة تجديد حفره ستة أشهر ، لتحمل السفن الميرة فيه إلى الحجاز ، وأطلق عليه اسم خليج أمير المؤمنين ، وهو يصب فى بحر القلزم ، ومسافته من الفسطاط إلى القلزم خمسة أيام، وكان ماء النيل يصب فى البحر عند مدينة القلزم ، ثم أضاعته الولاة وأهملوه ، ثم أمر أبو جعفر المنصور بسده عندما خرج عليه محمد بن عبد الله بن الحسن بالمدينة ليقطع عنه الطعام ، ولم يزل ذلك الخليج متنزهًا لأهل القاهرة ، ثم حفره الناصر محمد بن قلاوون ، وسمى بالخليج الناصرى . (ابن الطرير : نزهة المقلتين ، ص ٢٠٣ ، المقريزى : الخطط ، م١ ، حـ١ ، ص ١١٤ ،ص ١١٥ ، م٢ ، حـ ٣ ، ص ٣٣٢ ، ٣٣٣).

(١)السد : بناء فى مجرى الماء ليحجزه ، (المعجم الوجيز ، ص ٣٠٦).

(٢)السماط : ما يمد ليوضع عليه الطعام فى المآدب ، (المعجم الوجيز ، ص ٣٢١) .

والأصـــــــفر والأخضـــــــر والـــــــلازوردى والصـــــــقلى[١] على الترتيب[٢] .

وقد أوردت المصادر هذا الأمر (فتح الخليج) تفصيلاً ، ومما ورد فى ذلك : " تعمل فى بيت المال موائد التماثيل المختلفة من الغزلان والسباع والفيلة والزراريف ، وكذلك أشكال التفاح والأترج ، وتعمل الخيمة المعروفة بالقاتول[٣] ، وتضرب خيام لأرباب الرتب غربى هذه الخيمة ، ويركب الخليفة على عادة المواكب العظيمة بالمظلة والسيف والرمح ، وسائر الآلات ، ويزاد أربعون بوقًا من الذهب ، وثلاثون من الفضة المنفرون بها ركبانًا ، والمنفرون بالأبواق النحاس مشاة ، ومن الطبول العظام عشرة ، ثم يحضر الوزير من دار الوزارة راكبًا فى هيئة عظيمة إلى باب القصر الذى يخرج منه الخليفة ، ويخرج الخليفة من القصر ، وعليه ثوب يسمى بدنة[٤] حرير مرقوم

---

(١)عشارى أنشأه نجار من صقلية فنسب إليه ، (القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ ٣ ، ص ٥٢٠) .

(٢)ابن الطوير : نزهة المقلتين ، ص ١٩٥ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ ٣ ، ص ٥١٩ ، المقريزى : الخطط ، م١ ، حـ ٢ ، ص ٣٦٥ ، السيوطى : كوكب الروضة ، ص ١٦٣ ، ١٦٤.

(٣)سميت بذلك لأن فراشا سقط من أعلى عمودها فمات ، فسميت بذلك ، وطول عمودها سبعون ذراعا ، وسعتها تزيد على فدانين مستديرة ، وتنصب فى بر الخليج الغربى على حافته ، ويلف عمود الخيمة بديباج أحمر أو أبيض أو أصفر من أعلاه إلى أسفله ، وينصب سرير الملك مستدير إليه ، وعليه مرتبة عظيمة من الفرش للخليفة ، (ابن الطوير : نزهة المقلتين ، ص ١٩٦ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ ٣ ، ص ٥١٨ ، ٥١٩).

(٤)البَدنَة : ما يلبس من الثياب على البدن .الشابشتى : الديارات ، ص ٥٦ .

بذهب لا يلبسه غير ذلك اليوم ، ويسير الموكب فى نفس الطريق التى ذهب فيها للتخليق حتى يأتى جامع ابن طولون ، ويكون قاضى القضاة والشهود جلوسًا ببابه ، فيقف لهم الخليفة وقفة خفيفة ، ويسلم على القاضى ، ويتقدم القاضى ويقبل رجله التى من جانبه، ويقف الشهود أمام فرس الخليفة ، ويسلم عليهم ، ثم يركبون ويسير الموكب حتى ساحل الخليج ، فيسير حتى يقارب الخليفة الخيمة ، فيتقدمه الوزير على العادة ، فيترجل على باب الخيمة ، ويجلس على المرتبة الموضوعة له ، ويجلس بقية الناس على رتبهم ، وقراء الحضرة يقرءون القرآن ساعة ، ثم يؤذن للشعراء واحدا بعد واحدًا ، وينشد كل منهم ما نظمه مما يناسب الحال ، والحضور يحسِّنون أو يوهون ما قاله الشعراء "[١] .

فإذا انقضى المجلس السابق قام الخليفة عن سريره ، وركب إلى المنظرة المعروفة بالسكرة[٢] وهى بقرب الخيمة ، والوزير بين يديه ، وقد فرشت المنظرة بالفرش المعدة لها ، ويجلس الخليفة بمكان معد له ، ويجلس الوزير بمكان فيها ، ثم يشار بفتح السد فيفتح بالمعاول، والطبول والأبواق تضرب من البرين ، وفى أثناء ذلك يأتى السماط من القصر ، ويوضع فى

---

(١)ابن الطوير : نزهة المقلتين ، ص ١٩٨ ، ١٩٩ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ ٣ ، ص ٥٢٠ ، المقريزى : الخطط ، م١ ، حـ ٢ ، ص ٣٦٥ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، حـ٤ ، ص ١٠٠ ، السيوطى : كوكب الروضة ، ص ١٦٤ .

(٢)بناها العزيز بالله ، وكانت من جنات الدنيا ، بها أماكن معدة لنزول الوزير وغيره من الأكابر ، ثم هدمها الحاكم بأمر الله فى أعقاب قتله لبرجوان . (المقريزى : الخطط ، م١ ، حـ٢ ، ص ٣٥٠) .

خيمة واسعة معدة لذلك ، ويحمل منها للوزير وأولاده ما جرت به العادة ثم لقاضى القضاة والشهود مثل ذلك ، ثم إلى الأمراء على قدر رتبهم[١] .

١٠- ثم يأتى الرسم التالى عند اعتدال الماء فى الخليج ، فتدخل العشاريات اللطاف وراءها العشاريات الكبار ، وهى سبعة الذهبى (المختص بالخليفة) وهو الذى يركبه يوم التخليق ، الفضى والأحمر ، والأصفر والأخضر واللازوردى والصقلى ، وعليها الستور الملونة ، وتسير العشاريات فى الخليج حتى ترسو على بر المنظرة التى فيها الخليفة ، فإذا صلى الخليفة العصر ركب لابسًا ثياباً غير الثياب التى كانت عليه أول النهار ، ومظلته مناسبة لثيابه التى لبسها ، وباقى الموكب على حاله ، ويسير فى البر الغربى من الخليج شاقًّا البساتين حتى يصل إلى باب القنطرة[٢] ثم يسير إلى القصر ويتبعه الوزير ، فيدخل الخليفة القصر ويمر الوزير إلى داره[٣] .

---

(١)ابن الطوير : نزهة المقلتين ، ص ٢٠٢ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ٣ ، ص ٥٢٠ ، المقريزى : الخطط ، م١ ، حـ ٢ ، ص ٣٥٧ .

(٢)عرف بذلك لأن جوهرًا القائد بنى هناك قنطرة فوق الخليج الذى بظاهر القاهرة ليمشى عليها إلى المقس عند مسير القرامطة إلى مصر سنة ٣٦٠هـ ، (المقريزى : الخطط ، م١ ، حـ٢ ، ص ٣١٣).

(٣)ابن الطوير : نزهة المقلتين ، ص ٢٠٢ ، ص ٢٠٣ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ٣ ، ص ٥٢٠ ، ص ٥٢١ ، المقريزى : الخطط ، م١ ، حـ٢ ، ص ٣٦٧ ، السيوطى : كوكب الروضة ، ص ١٦٥ ، ص ١٦٦.

وما ورد عن إنشاء الخليفة العزيز[١] لمنظرة السكرة يؤكد أن الرسوم المعمول بها على عهد الدولة الفاطمية ، إنما اتخذت من عهد العزيز ، ومن بعده من خلفاء الدولة الفاطمية ، كما يدل على أن فتح الخليج فى عهد المعز لم يتخذ كل هذه الرسوم ، وهو ما يدل على عِظم الاهتمام بتلك الرسوم ، والرغبة فى الاستزادة منها.

ففى عهد المعز كان يركب لفتح الخليج فيكسر السد بين يديه ، ثم يعود على شاطئ النيل فى موكب عظيم[٢] ، دون ورود أى تفصيلات أكثر من ذلك ، وربما كان ذلك راجعا لقصر مدة حكم الخليفة المعز ، وانشغاله بتثبيت دعائم الدولة ، والقضاء على القوى المناوئة لها ، ورغم ذلك لم يغفل أمر النيل ، لاسيما وقد اتسم الفاطميون بذكاء دفعهم إلى إحياء الأعياد التى تتسم بصفة قومية ، خاصة وأنها دولة عرفت بكثرة مواسمها الدينية التى تعبر عن عقيدتها ، فكان ذلك نوعا من الموازنة بين أعيادها ، والأعياد القومية التى جمعت كافة طوائف المصريين .

---

(١)أبو المنصور نزار بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدى ، خامس خلفاء الدولة الفاطمية ، ولد بالمهدية سنة ٣٤٤هـ / ٩٥٥م ، ولى العهد من أبيه فى حياته ، ثم بايعه الناس يوم وفاة أبيه سنة ٣٦٥ ، توفى سنة ٣٨٦هـ بمدينة بلبيس (بعلتى القولنج والحصاة) ، وله من العمر ٤٢ سنة ، ومدة ولايته ٢١ سنة ، ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٤ ، ١٥ .

(٢)ابن ميسر : محمد بن على يوسف بن جلب (٦٧٧هـ / ١٢٧٨م) أخبار مصر، حـ٢، تصحيح هنرى ماسيه ، مطبعة المعهد العلمى الفرنسى ، القاهرة، ١٩١٩م، ص٤٤ .

هذا وقد طرأ فى نهاية العصر الفاطمى بعض التغيير على رسوم يوم فتح الخليج التى تتعلق بمنظرة اللؤلؤة[١] وقت الزيادة ، حيث أهمل هذا الرسم بسبب الأزمة التى مرت بها البلاد فى منتصف القرن الخامس الهجرى [٢] وعندما استعاد الآمر بأحكام الله[٣] رسوم الدولة فى سابق عهدها صار يتحول فى أيام زيادة النيل من القصر إلى اللؤلؤة ويسكن فيها بحرمه ، بينما يسكن المأمون فى دار الذهب[٤] القريبة منها[٥] .

---

(١)تقع على الخليج بالقرب من باب القنطرة ، وكان قصرًا من أحسن القصور ، يشرف من شرقيه على البستان الكافورى ، ومن غربيه على الخليج ، ثم هدمت ونهبت فى عهد الحاكم .(المقريزى : الخطط ، م١ ، حـ٢ ، ص ٣٤٨ ، ٣٤٩).

(٢)ويقصد بها الفتنة بين طوائف الجند ، وما تلاه من الشدة العظمى التى حلت بالبلاد لمدة سبع سنوات ، نتيجة قصور ماء النيل .(المقريزى : اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، حـ٢ ، تحقيق جمال الدين الشيال ، ط الثانية ، القاهرة ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م ، ص ٢٤) .

(٣)أبو على المنصور بن المستعلى بالله أبى القاسم أحمد بن المستنصر بالله أبى تميم معد بن الظاهر لإعزاز دين الله أبى الحسن على بن الحاكم بأمر الله أبو على منصور ، ولد سنة ٤٩٠هـ ، بويع له بالخلافة يوم موت أبيه ، وله من العمر خمس سنين سنة ٤٩٥هـ ، أحضره الأفضل ونصبه ، وبايع له ، ونعته بالآمر ، وكان شديد السمرة يحفظ القرآن ، قتل وعمره أربع وثلاثون سنة ، مدة خلافته تسع وعشرون سنة ، (المقريزى : الخطط ، م٢ ، حـ ٤ ، ص ٧٧ ، ٧٨).

(٤)كانت مطلة على الخليج بناها الأفضل بن أمير الجيوش ، وسماها دار الذهب ، وكان يستريح بها إذا ، كان الخليفة باللؤلؤة .(المقريزى : الخطط ، م١ ، حـ ٢ ، ص ٣٥٢ ، ص ٣٥٣) .

(٥)ابن الطوير : نزهة المقلتين ، ص ٨٣ ، المقريزى : الخطط ، م١ ، حـ ٢ ، ص ٣٤٩ .

١١- ومن الرسوم التى وقع الاهتمام بها توفير مكان للعامة يجتمعون به للفرجة يوم فتح الخليج ، وذلك أن الخليفة الآمر لاحظ خروج الناس للفرجة ، وكانوا يصنعون لذلك أخشابًا متراكبة بعضها فوق بعض يجلسون عليها للتفرج ، فأمر الآمر سنة ٥١٨هـ / ١١٢٤م ببناء دار واسعة ليتفرج الناس فيها عند كسر الخليج بالكراء[١] .

١٢- ومن الرسوم التى وقع الاهتمام بها فى موسم الزيادة الكسوات التى كانت تعد برسم فتح الخليج ، وهى على الترتيب كسوة الخليفة ، بدلتان إحداهما برسم المضى (أى لفتح الخليج) والأخرى برسم العود ، وكذا ما يخص إخوته وجهاته ، وكسوة برسم الوزير وأولاده وجهته ، وعدة تخوت لابن أبى الرداد فيها عدة بدلات ، وكذا كسوة برسم رؤساء العشارى[٢] .

وقد تجاوزت هذه الرسوم – وما تحمله من أبهة – ما يتعلق بالملبوس والمواكب إلى الطراز[٣] المستعمل برسم تغطية الصوانى ، والتى تكون طبقات بعضها فوق بعض ، محلاة بالذهب والحلى والحرير ، وقد بلغت تكلفة ما يغطى الصينية الواحدة بكل طبقاتها ما يقارب ثمانين دينارًا، ولفرط جمالها ورونقها سارع تجار العراق قبيل سقوط الدولة الفاطمية إلى شراء تلك

---

(١)ابن الطوير : نزهة المقلتين ، ص ٨٣ .

(٢)ابن المأمون البطائحى : نصوص من أخبار مصر ، ص ٧٤ ، المقريزى : الخطط ، م١ ، حـ ٢ ، ص ٣٥٦ ، ٣٥٧ .

(٣) الطراز : النمط والشكل ، وهو الجيد من كل شيء ، (المعجم الوجيز ، ص ٣٨٩) .

الأغطية التى حصلوا عليها بأقل من ثمن تكلفتها ، ورغم ذلك لم تجد رواجًا، وعادوا بها إلى الديار المصرية سنة ٥٨٦هـ / ١١٩٠م[١] .

١٣- ومن تلك الرسوم أيضًا تجديد العشاريات عند اقتراب موسم زيادة النيل ، حيث تجدد وتزين بالستور الملونة ، والأهلَّة الذهب والفضة[٢] .

ومن المحتمل أن هذا الاهتمام بالعشاريات قد تعدى عشاريات الخليفة إلى غيرها ، وذلك لما يكون من مشاركة عامة الرعية فى ذلك الاحتفال .

ومن اللافت للانتباه ما ورد عن هيئة الموكب الذى يرافق الخليفة عند فتح الخليج فى الحقبة المتأخرة من عمر الدولة الفاطمية ، حيث ورد أن الخليفة كان يسير " بين حصنين مانعين من عساكره فارسها وراجلها .. بالعدد المذهبة والآلات المانعة ، وليس بينهم طريق لسالك "[٣] .

يتضح مما سبق أن هذا الاحتراز الذى صاحب موكب الخليفة لفتح الخليج ، إنما كان مقترنًا بحالة الترقب التى وصل إليها الخلفاء فى تلك الحقبة ، التى غالبًا ما لقى خلفاؤها حتفهم غيلة على أيدى مناوئيهم ، وكانت تلك الاحتياطات سمة العصر الفاطمى الثانى الذى اقترن بخلفاء ضعفاء ، ووزراء أقوياء .

١٤- امتدت تلك الرسوم لتشمل الشوارع والأزقة والأحياء التى تختص بمرور موكب الخليفة منها. ومما ورد عن ذلك أنه قد زين أمام الموكب جميع ما يكون أمامه من الطرق جميعًا بما فى ذلك

---

(١) ابن المأمون البطائحى : نصوص من أخبار مصر ، ص ٧٣ .

(٢) ابن المأمون البطائحى : نصوص من أخبار مصر ، ص ٧٥ .

(٣) ابن المأمون البطائحى : نصوص من أخبار مصر ، ص٧٧ ، المقريزى : الخطط ، م١ ، حـ ٢ ، ص ٣٥٧ .

الحوانيت والدور والمساكن وأبواب الحارات ، وقد زينت بأنواع الستور والديباج على اختلاف أجناسها ، وكذا بأصناف السلاح ، وتملأ الفجاج بالنظارة، وتعم الصدقات أرباب الجوامع والمساجد ، وبوابى الأبواب ، والسقائين والفقراء والمساكين على طول طريق الموكب[١].

وقد سبقت الإشارة إلى رسم من الرسوم المهمة فى العهد الفاطمى ، وهو كتب البشارة بزيادة النيل ، وكتب البشارة بفتح الخليج ، وقد ورد كل منهما منفردًا عن الآخر ، وربما كان ذلك لتراخى زمن الفتح عن زمن الوفاء[٢] .

ويبدو أن كثيرًا من تلك الرسوم قد تعرضت للإهمال بسبب طبيعة حِقَب الحكم ، والأحداث التى تلقى بظلالها على مثل تلك الرسوم ، ومن ذلك ما كان فى عصر الخليفة الحاكم بأمر الله[٣] ، حيث لم يرد ما يدل على الاهتمام بتلك الرسوم ، اللهم إلا بمقدار الإشارة إلى زيادة النيل، وفتح الخليج بصيغة المبنى للمجهول[٤] .

ومن ذلك أيضًا ما كان من القرارات التى أصدرها الحاكم بأمر الله ، والتى حرم على الرعية فيها الكثير من المباحات فى عصور سابقة ، ومن ذلك منع الاجتماع على شاطئ النيل للتفرج ، كما حدث فى كثير من الرسوم

---

(١)ابن المأمون البطائحى : نصوص من أخبار مصر ، ص ٧٧ ، المقريزى : الخطط ، م١ ، حـ ٢ ، ص ٣٥٧ ، ٣٥٨ .

(٢)القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ ٨ ، ص ٣٢٨ .

(٣)الحاكم بأمر الله أبو على منصور ، مدة خلافته إلى أن فقد ٢٥ سنة ، فقد وعمره ٣٦ سنة وذلك فى سنة ٤١١هـ .(المقريزى : الخطط ، م١ ، حـ ٢ ، ص ١٦٧) .

(٤)ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، حـ ٥ ، ص ١١٠ ، ١١٤ ، ١١٨ ، ١٢٣ .

التى جرت بها العادة[١] كمنعه من الركوب فى القوارب إلى القاهرة فى الخليج ، وتشدده فى المنع ، وسده لأبواب القاهرة التى يتطرق منها إلى الخليج ، وكذا أبواب الطاقات من الدور التى تشرف على الخليج[٢] .

وكذلك منع الحاكم الناس فى عهده من اللهو والغناء ، والاجتماع بالصحراء ، وعندما نقص ماء النيل فى عهده ، ولم يوف ست عشرة ذراعًا منع الناس من ركوب البحر[٣] .

وربما كانت هذه القرارات لاعتبارات أخلاقية وإصلاحية ، وذلك دون النظر إلى المحافظة على رسوم لا طائل منها ولا فائدة ترجى ، فضلاً عن عظم النفقات عليها .

ومما يؤسف له أن تنتقل البلاد من حالة قمة التجبر والطغيان ، والمنع لأسباب معقولة ومقبولة ، وغيرها غير مقبول ولا معقول إلى حالة من الإباحة وخيمة العواقب ؛ فما أن اعتلى سدة الحكم الظاهر[٤]بن الحاكم حتى اقترنت أيامه بكثير من وقائع التهتك والفجور التى تصاحب تلك الرسوم ، ومن ذلك : " وعاد الخليفة إلى قصره سالمًا وشوهد من سكر النساء وتهتكهن

---

(١)المقريزى : الخطط ، م٢ ، حـ ٤ ، ص ٧٢ .

(٢)المقريزى : الخطط ، م٢ ، حـ ٣ ، ص ٣٣٣ .

(٣)المقريزى : الخطط ، م٢ ، حـ ٤ ، ص ٧١ .

(٤)الظاهر لإعزاز دين الله أبو الحسن على بن الحاكم بأمر الله ، ولد بالقاهرة سنة ٣٩٥هـ ، بويع بالخلافة سنة ٤١١هـ ، وعمره ١٦ سنة ، وبايع لابنه بولاية العهد وعمره ثمانية أشهر ، مات سنة ٤٢٧هـ ، عن ٣٢ سنة ، وكانت مدة خلافته ١٥ سنة .(المقريزى : الخطط ، م١ ، حـ٢ ، ص ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩) .

وحملهن فى قفاف الحمالين سكارى واجتماعهن مع الرجال أمر يقبح ذكره "[١] .

وقد طرأ على تلك الرسوم تغييرات طفيفة فى نهاية عهد الدولة الفاطمية ، وأهم الأمور فى هذا السياق الاهتمام البالغ الذى أظهره الخليفة الآمر بالمواكب والاحتفالات والأعياد بصفة عامة، ورسوم موسم زيادة النيل بصفة خاصة ، واستعداد الوزير المأمون البطائحى إلى تلبية رغبات الخليفة فى هذا المجال[٢] .

١٥- ومن ذلك أيضًا خروج الخليفة لتخليق المقياس بالعشارى الفضى ، بعد أن كان مضيه إليه بالعشارى الذهبى[٣] ، وكذا نزول الخليفة بحاشيته وأهله وتحوله إلى منظرة اللؤلؤة ، وتحول الوزير إلى دار الذهب ، قرب حلول موسم الزيادة ، وذلك فى خلافة الآمر ، ووزارة المأمون البطائحى[٤] .

ومما تجدر الإشارة إليه بعد هذا العرض لرسوم الاحتفال بزيادة النيل فى العصر الفاطمى عدة ملاحظات منها :

- أن تلك الرسوم كانت على قدر من الاعتدال والتوسط ، وعدم المبالغة فى عهد الخلفاء الأقوياء ، رغم انشغالهم بالصراعات التى خاضوها ، فأصابوا قدرًا من العقلانية ومشاركة المصريين

([١])المقريزى : الخطط ، م٢ ، حـ ٣ ، ص ٢٣٥ .

([٢])ابن الطوير : نزهة المقلتين ، ص ٨٤ .

([٣])ابن المأمون البطائحى : نصوص من أخبار مصر ، ص ٧٢ .

([٤])ابن المأمون البطائحى : نصوص من أخبار مصر ، ص ٧١ .

أعيادهم القومية من جهة ، ولم يصلوا إلى حد البذخ فى تلك الرسوم .

- أما الخلفاء الذين اتسمت عصورهم بالاضطراب والتشدد فقد نال تلك الرسوم على أيديهم بعض الإهمال ، وما أن دخلت تلك الدولة عصرها الثانى وتولى سدتها خلفاء ضعفاء ، وتناوب على الوزارة وزراء أقوياء استبدوا بالأمور ، ولم يتركوا للخلفاء إلاالتسمى بالخلافة ، وما تبع ذلك من صراع على الوزارة كل ذلك جعل خلفاء الدولة يعملون على إحياء تلك الرسوم لتعيد إليهم شيئًا من سلطانهم ، وتكفل لهم الظهور على الساحة بعد غيابهم بفعل استبداد الوزراء، فانصرفت همتهم إلى الاهتمام بها والمبالغة فى النفقة عليها .
- وإذا كانت أغلب الرسوم المتعلقة بزيادة نهر النيل قد أرسيت فى العصر الفاطمى ، وسار حكام مصر وعامة رعيتها فى العصور اللاحقة على هديهم ، إلا أن ذلك العصر أيضًا قد شهد من الأزمات ما كان مبدؤها قصور النيل عن الزيادة ، ومن ثم كان يجرى فتح الخليج بغير وفاء ، وذلك مخافة نقصانه ، والرغبة فى الاستفادة بالقدر الموجود من المياه فى أعمال الزراعة ، ومن ذلك ما حدث فى عهد الحاكم بأمر الله والمستنصر وغيرهما[١] .

---

(١)المقريزى : إغاثة الأمة بكشف الغمة ، نشر محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال ، ط الثالثة ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م ، ص ١٧ ، ٢٠ ، ٣٢ ، ٣٣ .

وللتأكيد على ما تم ترجيحه من اهتمام ضعفاء خلفاء الفاطميين بأمر رسوم الاحتفال بزيادة النيل ، والاستزادة منها ، ما كان من فكرة إضافة رسم جديد على تلك الرسوم ، والمتمثل فى الاحتفال بفتح خليج بحر أبى المنجا[١] وكان الخليفة الآمر قد تحدث إلى وزيره المأمون البطائحى فى فتح هذا الخليج ، وأن يكون له يوم كخليج القاهرة ، وأمر أن يبنى عليه مكان السد منظرة متسعة تكون من بحرى السد ، وكان يوم فتح سد هذا البحر يوما مشهودا منذ عهد الآمر، وطيلة العصر الفاطمى الثانى[٢] .

(١)هذا الخليج حفره أبو المنجا بن أشعيا اليهودى بأمر الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالى سنة ست وخمسمائة ، فعرف به ، وكان أبو المنجا مشارفا على الأعمال الشرقية ، والتى لم يكن يتيسر وصول الماء لها إلا من خلال السردوسى ، فيشرق الكثير منها ، فتضرر المزارعون ، فكان حفر ترعة أبى المنجا التى استغرق حفرها سنتين .(المقريزى : الخطط ، م١ ، حـ ١ ، م١ ، حـ ٢ ، ص ٣٨١) .

(٢)المقريزى : الخطط ، م١ ، حـ٢ ، ص ٣٨١ .

المبحث الثالث : رسوم الاحتفال بزيادة النيل فى العصر الأيوبى (٥٦٧ – ٦٤٨هـ / ١١٧١ – ١٢٥٠م)

ظلت كثير من رسوم الاحتفال بزيادة النيل التى سادت فى العصر الفاطمى على حالها فى العصر الأيوبى ، ومما ورد فى ذلك استمرار وصول المفرد المبشر بالوفاء من الصعيد[١] وهو نفسه المفرد المشار إليه فى العصر الفاطمى .

وكانت تجرى مطالعة ابن أبى الرداد السلطان بالزيادة بصفة يومية ، والتى كان يعطى البشارة عليها ، وذلك حتى تصل الزيادة إلى حد الوفاء التى يقضى الله بها[٢] .

ومن سلاطين بنى أيوب الذين اهتموا بتلك الرسوم السلطان صلاح الدين الأيوبى[٣] حيث ركب فى سنة ٥٧٧هـ / ١١٨١م لتخليق المقياس ، كما خلع على ابن أبى الرداد ، ثم قام بفتح الخليج فى رابع ربيع الآخر ،

---

(١)السيوطى : كوكب الروضة ، ص ١٦٨ ، ابن إياس : بدائع الزهور ، ق١ ، حـ١ ، ص ١٥٧.

(٢)ابن جبير : رحلة ابن جبير ، ص ٣٠ .

(٣)أبو المظفر يوسف بن نجم الدين أبى الشكر أيوب بن شادى، أصله من دوين بأذربيجان ، دخل أبوه وعمه فى خدمة صاحب شحنكية تكريت ، ثم انتقلا إلى خدمة الأتابك عماد الدين زنكى ، ثم إلى خدمة ابنه نور الدين محمود ، وخرج صلاح الدين مع عمه شيركوهفى حملات نور الدين على مصر، وتقلد الوزارة للعاضد الفاطمى ، وقضى على الدولة الفاطمية ، ثم استقل بحكم مصر ، وتسلطن بها من سنة ٥٦٧هـ ، وحد الجبهة وانتصر على الصليبيين واسترد بيت المقدس ، وتوفى بدمشق سنة ٥٨٩هـ عن سبع وخمسين سنة ، ومدة ملكه ٢٢ سنة .(المقريزى : الخطط ، م٢ ، حـ٣ ، ص ٣٧٧ – ٣٨١) .

وذلك بحضور والى القاهرة ، ثم ركب فى أول جمادى الأولى لفتح بحر أبى المنجا ثم عاد[١] .

من خلال ذلك يتبين مدى اهتمام السلطان صلاح الدين برسوم الاحتفال بزيادة النيل ، التى ورد ذكرها بشكل مقتضب دون استرسال وبيان للتفاصيل ، وربما كان مرد ذلك إلى انشغال السلطان صلاح الدين بتثبيت دعائم ملكه ، وتفكيره فى توحيد الجبهة الإسلامية استعدادًا لمواجهة الصليبيين ، لتطهير الأراضى الإسلامية من الوجود الصليبى ، ويتضح من تاريخ ذلك الاحتفال أنه كان فى بداية عهده ، وقبل انشغاله بقية حكمه بأمر الجهاد ، فلم يرد ما يدل على مداومته على تلك الرسوم .

كما يتضح استمرار بني الرداد فى أداء عملهم بالمقياس[٢] ، واستمرار حصولهم على البشارة بأخبار الزيادة على العادة فى سابق العصور .

وقد استمر قياس النيل على ما هو متعارف عليه طوال العصر الأيوبى[٣] ، أما فى عصر خلفاء صلاح الدين ، وقبل الدخول فى حالة الصراع على ملكه العريض ، فقد وقع الاهتمام بتلك الرسوم ، وأول ما

---

(١)المقريزى : الخطط ، م١ ، حـ٢ ، ص ٣٨٢ ، السيوطى : كوكب الروضة ، ص ١٦٨ .

(٢)عبد اللطيف البغدادى : رحلة عبد اللطيف البغدادى ، ص ١٤٢ ، ص ١٥٢ .

(٣)عبد اللطيف البغدادى : الرحلة ، ص ١٢٦ ، ص ١٢٨ ، ١٣١ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٥٢ . ابن واصل : جمال الدين محمد بن سالم بن نصر الله بن سالم بن واصل (ت ٦٩٧هـ / ١٢٩٨م) مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ، تحقيق حسنين محمد ربيع ، مراجعة وتحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة ، د.ت، حـ ٣ ، ص ٣٨ ، ص ١١٥ ، حـ ٥ ، ص ١٥٦ ، الدوادارى : درر التيجان ، ص ٤٨ ، ابن إياس : نشق الأزهار ، ص ٨٠ ، ص ٨١ .

يطالعنا من ذلك ما كان من السلطان العزيز عثمان[١]بن السلطان صلاح الدين ، حيث كُسِر بحر أبى المنجا فى عهده بعد التأخير فى كسره ، وذلك بسبب قصور النيل ، ولم يباشر السلطان كسر الخليج بنفسه ، وبدا عقاب الله تعالى فى الماء الذى كانت المعاصى على ظهره ، حيث اجتمع على المراكب الرجال والنساء مختلطين مكشفات الوجوه وأيدى الرجال تنال منها ما تنال فى الخلوات والطبول مرتفعات الأصوات ، ورفع الأمر إلى السلطان فندب من فرقهم بعد أن فشت الفاحشة[٢] .

ولا أستطيع ربط تفشى الفاحشة فى هذا الموسم وفى تلك الرسوم بالعصر الأيوبى؛ فقد سبق حدوث مثلها فى العصر الفاطمى ، وإنما يتجرأ على الإتيان بتلك الفواحش فى ظل غياب الرقيب من السلطان ومن فى مرتبته ، فمن المؤكد أن حضور السلطان يشيع حالة من الرهبة والإجلال تمنع من المجاهرة بإتيان تلك الفواحش .

ومن الأمور التى ترجح ما سبق ما ورد عن خروج العزيز عثمان لكسر بحر أبى المنجا ومباشرة الكسر بنفسه[٣] ، دون الإشارة إلى وقوع شيء مما سبق ذكره فى العام الذى تغيب واستناب فيه .

---

(١)العزيز عماد الدين أبو الفتح عثمان بن صلاح الدين ملك مصر يوم وفاة أبيه سنة ٥٨٩هـ ، خرج إلى الفيوم يتصيد فحم ومات بها سنة ٥٩٥هـ ، ومدة سلطنته ست سنوات . (بيبرس المنصورى (ت ٧٢٥هـ / ١٣٢٤م) : مختار الأخبار فى تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية ، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان ، الدار المصرية اللبنانية ، ط الأولى ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م ، ص ٥) .

(٢)المقريزى : الخطط ، م١ ، حـ٢ ، ص ٣٨٢ .

(٣)المقريزى : الخطط ، م١ ، حـ٢ ، ص ٣٨٢ .

كما خرج السلطان العزيز فى ثامن عشر من رمضان سنة (٥٩٢هـ) اثنتين وتسعين وخمسمائة لتخليق المقياس ، ثم خرج فى العشرين منه لفتح سد الخليج، وقد كثر المتفرجون[١] .

وفى عام (٥٩٤هـ) أربع وتسعين وخمسمائة بادر السلطان بالنهى عن ركوب الناس فى المراكب ، للتفرج فى الخليج ، (وهى من الرسوم المعتادة) كما نهى عن إظهار المنكر ، وركوب النساء مع الرجال ، وأصدر عقوبة لمن يخالف ذلك من رؤساء المراكب ، حيث تم تعليق من خالف ذلك بأيديهم[٢] .

ورغم ما ابتلى به الناس فى كثير من أزمنة العصر الأيوبى من نقصان ماء النيل[٣] والعقوبات الواقعة على المخالفين ، وصدور القرارات بمنع الاجتماع ، وإتيان الفاحشة ، إلا أن الناس أقبلوا على الفاحشة غير مبالين بعقوبات ولا سلطان ، ولا شيء مما يعتبر له ، وقد " ظهر فى هذه المدة من المنكرات ما لم يعهد فى مصر فى وقت من الأوقات، ومن الفواحش ما خرج من الدور إلى الطرقات ، وجرى الماء فى الخليج بنعمة الله ... فركب أهل الخلاعة وذوو البطالة فى مراكب فى نهار رمضان ، ومعهم النساء الفواجر ، وبأيديهن المزاهر يضربن بها ، وتسمع أصواتهن ، ووجوههن مكشوفة وحرفائهن من الرجال معهم فى المراكب لا يمنعون عنهن

---

(١)السيوطى : كوكب الروضة ، ص ١٦٨ .

(٢)المقريزى : الخطط ، م٢ ، حـ ٣ ، ص ٢٣٢ .

(٣)عبد اللطيف البغدادى : رحلة عبد اللطيف البغدادى ، ص ١٢٦ ، ١٤١ ، ١٤٢ .

الأيدى ولا الأبصار ، ولا يخافون من أمير ولا مأمور ، وتوقع أهل المراقبة ما يتلو هذا الخطب من المعاقبة[١] .

ولم يكن اهتمام بني أيوب بتلك الرسوم فى حد ذاتها ، بل نرى منهم من امتد اهتمامه بعمارة الجسور استعدادًا لما يكون من زيادة ، وذلك كما كان يفعل السلطان الكامل محمد[٢] الذى كان يخرج بنفسه لينظر فى الجسور وإصلاحها ، ويخصص لكل جسر من يتولاه من الأفراد ، ويجمع الرجال لإصلاحه ، ثم يشرف بعد ذلك بنفسه على هذا العمل ، وأى جسر اضطرب واختل عاقب من يتولاه أشد عقوبة[٣] .

ومن خلال عرض رسوم الاحتفال بزيادة النيل فى العصر الأيوبى يلاحظ :

- عدم ورود ما يفيد بتوسع سلاطين بنى أيوب فى رسوم الاحتفال بزيادة النيل .
- أن هذه الرسوم أخذت موقعها من اهتماماتهم مع ما كان لهم من دور فى الحراك الذى شهده العالم الإسلامى آنذاك ، فلم تقتصر اهتماماتهم على النواحى العسكرية ، بل امتدت للجوانب الحضارية .

---

(١)المقريزى : الخطط ، م٢ ، حـ٣ ، ص ٢٣٣ .

(٢)ناصر الدين أبو المعالى محمد بن الملك العادل أبو بكر بن أيوب، استقل بملك مصر يوم وفاة والده سنة ٦١٥هـ ، فأقام فى السلطنة عشرين سنة ، ومات بدمشق سنة ٦٣٥هـ . (بيبرس المنصورى : مختار الأخبار ، ص ٧) .

(٣)ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ٥ ، ص ١٥٧ .

- حظى فتح سد أبى المنجا باهتمام سلاطين الأيوبيين ، تأسيًا بما كان فى العهد الفاطمى ، لما لهذا الخليج من أهمية كبرى لزراعة الأعمال الواقعة شرقَّي مصر .
- تفشى حالة من التدنى الأخلاقى صاحبت تلك الرسوم فى بعض أزمنة العصر الأيوبى وإن كان لها سوابق فى العصر الفاطمى ، فكانت عقوبة الله بنقص مياه النيل ، وما تلاه من مجاعة استمرت ثلاث سنوات[١] .
- عمل بنو أيوب على تدارك أمر المنكرات بإصدار العقوبات ، والعمل على تفريق مرتكبى الفواحش إلا أن ذلك لم يغن شيئًا ، وبات أهل مراقبة الله عز وجل ينتظرون عقوبته على ما بدر من هؤلاء .

وأول ما ابتدأ الله تعالى به فى معاقبة هؤلاء ما كان فى سنة إحدى وتسعين وخمسمائة حيث إن دارًا كانت عند فم السد كان يحصل من أجرتها يوم فتح السد ما لا يحصل من أجرة غيرها فى مدة سنة كاملة بسبب فتح السد ، والفرجة عليه يوم وفاء النيل ، فلما كان يوم الأحد سابع صفر سنة (٥٩١هـ) إحدى وتسعين وخمسمائة ، أوفى النيل على جارى العادة وأكرت الناس البيوت فى تلك الدار بسبب الفرجة ، حتى ما بقى ما يسع قدم إنسان ، فبينما الناس محتبكة بها سقطت عليهم تلك الدار فماتوا جميعًا ، وكان بها

(١)عبد اللطيف البغدادى : رحلة عبد اللطيف البغدادى ، ص ١٤٢ ، ص ١٤٣ ، ابن إياس : بدائع الزهور ، حـ ١ ، ق ١ ، ص ٢٥٤ .

من الناس نحو خمسمائة إنسان من رجال ونساء وصغار ، فأقاموا يستخرجون منها الأموات ثلاثة أيام[١] .

(١)ابن إياس : بدائع الزهور ، حـ١ ، ق ١ ، ص ٢٥١ .

المبحث الرابع : رسوم الاحتفال بزيادة النيل فى العصر المملوكى

(٦٤٨ – ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ – ١٥١٧م)

إنَّ الذى أجمعت عليه المصادر تجاه أمر الزيادة هو المواظبة على الاهتمام بقياس مياه النيل من قبل الجهة الحاكمة ، فضلاً عن إثبات معظم مصادر تلك الحقبة لحال مياه النيل إما ابتداء عند ذكر أحداث السنة ، أو ختامًا عند الانتهاء من عرض ما حدث فيها ، وما ذلك إلا لعظم أهمية أمر النيل ، وقيام أسباب الحياة عليه فى مصر[١] .

ولم تأخذ رسوم الاحتفال بزيادة ماء النيل شكلاً منتظمًا خاصة وأن هذه الرسوم ارتبطت فى المقام الأول بحال النيل ، ثم بالحالة السياسية التى تمر بها البلاد استقرارًا واضطرابًا ، فضلاً عن انشغال السلطة فى مصر بأمر العلاقات الخارجية ، وما يستتبع ذلك من حروب تؤدى إلى استنزاف لموارد مصر وقواتها ، وغير ذلك ممايؤثر بشكل مباشر على الاهتمام بتلك الرسوم. لذا سأقوم بعرض تلك الرسوم خلال مدة الحكم المملوكى بحسب الاهتمام بها وتنفيذها .

فى عهد السلطان الظاهر بيبرس[٢] " سنة تسع وستين وستمائة كان وفاء النيل ، فركب السلطان إلى المقياس ، وخلق العمود ، ثم ركب

---

(١)ابن إياس : بدائع الزهور ، حـ١ ، ق١ ، ص ٣٩٠ ، ٣٩٧ .

(٢)هو الرابع من ملوك دولة الترك بالديار المصرية ، وهو تركى الجنس ، من قبيلة البرلى ، ولد ببلاد القفجق سنة ٦٢٠هـ ثم أخذ من بلاده وبيع فى دمشق إلى أن صار إلى ملك علاء الدين أيدكين البندقدار ، ثم إلى ملك الصالح نجم الدين ، ظهر فى موقعة المنصورة ضد الحملة الصليبية السابعة ، ملك الديار المصرية بعد قتله لقطز عقب الانتصار على المغول ، توفى بدمشق سنة ٦٧٥هـ .(الصفدى: أبو الحسن بن ==

فى الحراقة[١]، وكسر الخليج الكبير، وكتب البشائر بالوفاء على العادة[٢]".

وهذا النص له دلالة كبيرة على عدة أمور منها:

- أن السلطان الظاهر بيبرس هو أول من أشير إليه من سلاطين المماليك بإحياء تلك الرسوم ، ومن المرجح أن سبب ذلك يعود بدرجة كبيرة إلى أنه يُعَدُ مؤسس الدولة المملوكية ، وكان قد حقق قدرًا كبيرًا من الاستقرار بعد أن قضى على مناوئيه داخليًا وخارجيًا ، فلم يرد ذكر لتلك الرسوم فى المدة السابقة عليه لما اعتراها من صراعات واضطرابات ، وتلمس دولة المماليك لأسباب العزة وتثبيت الأركان .
- لم يغفل السلطان الظاهر بيبرس أمر هذه الرسوم عندما أتيحت له الفرصة ، إلا أنه لم يرد تفصيل لتلك الرسوم الاحتفالية ، وهو ما يرجح عدم مبالغة الحكام ذوى الأدوار التأسيسية فى الدول فى هذه الرسوم ، مكتفين بما جرت به العادة .

==

أبى محمد عبد الله الهاشمى (ت بعيد ٧١٧هـ / ١٣١٧م) نزهة الممالك والمملوك فى مختصر سيرة من ولى مصر من الملوك، تحقيق عمر عبد السلام تدمرى ، المكتبة العصرية ، بيروت ، د.ت ، ص ١٥٠) .

(١)الحراقة : ضرب من السفن بها مرامى نيران يرمى بها العدو فى البحر . (المعجم الوجيز ، ص ١٤٦).

(٢) السيوطى : كوكب الروضة ، ص ١٦٩ .

- شهدت الحقبة التى تلت حكم السلطان الظاهر بيبرس كثيرًا من نوبات توقف الزيادة عن الحد الطبيعى ، فأدَّى ذلك إلى توقف رسوم الاحتفال[١] .

ومن الرسوم التى ظل معمولاً بها طيلة العصر المملوكى فى حال زيادة النيل ، وصول المفرد بالبشارة من الصعيد[٢] .

وقد اهتم السلطان المنصور قلاوون[٣] بتلك الرسوم فنراه فى سنة تسع وسبعين وستمائة يركب إلى المقياس ، ويخلق العمود فى الحراريق ويكسر الخليج ، ويكتب بالوفاء إلى سائر البلاد على العادة ، وكان يرفع إليه مقدار الزيادة يوميًا[٤] .

---

(١)ابن إياس : نشق الأزهار ، ص ٨٢ ، ٨٣ .

(٢)ابن الجزرى : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أبى بكر الجزرى القرشى (ت ٧٣٨هـ / ١٣٣٧م) حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه، المعروف بتاريخ ابن الجزرى ، حـ١ ، تحقيق عمر عبد السلام تدمرى ، ط الأولى ، صيدا ، بيروت ، ١٤١٩هـ /١٩٩٨م ، ص ١١٩.

(٣)المنصور سيف الدين قلاوون الألفى العلائى الصالحى ، أحد المماليك الأتراك البحرية ، قبجاقى الجنس ، من قبيلة برج أغلى، اشتراه علاء الدين آق سنقر الساقى العادلى بألف دينار ، ثم صار إلى الصالح نجم الدين أيوب ، تولى أتابكية العسكر لسلامش بن بيبرس ، ثم جلس على عرش الحكم بالقلعة سنة ٩٧٨هـ ، أوقع بالتتار ، وغزا طرابلس وبعض حصون الصليبيين ، مات بظاهر القاهرة سنة ٦٨٩هـ .(المقريزى : الخطط ، م٢ ، حـ٣ ، ص ٣٨٧ ، ٣٨٨).

(٤)ابن الفرات : ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات (ت ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م) تاريخ ابن الفرات ، م٧ ، تحقيق وضبط قسطنطين زريق ، المطبعة الأميركانية ، بيروت ، ١٩٤٢م ، ص ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ .

وربما كان ذلك راجعًا إلى ذلك القدر من الاستقرار الذى تحقق للبلاد بعد سلطنة المنصور قلاوون ، فاهتم بتلك الرسوم ، واتبع تنفيذها على ما جرت به العادة .

وفى سنة تسعين وستمائة كان وفاء النيل فكسر الخليج على العادة[١]، ولم تتم الإشارة إلى مباشرة تلك الرسوم من قبل السلطان ، أو من استنابه لذلك ، وربما كان ذلك راجعًا لانشغال السلطان الأشرف خليل[٢]بتطهير الديار الإسلامية من الصليبيين ، فضلاً عن قِصَر عهده .

١- وفى سنة أربع وتسعين وستمائة فى سلطنة السلطان زين الدين كتبغا[٣] توقف النيل ، ثم لطف الله بالوفاء وكسر النيل[٤] ، وكان من رسوم الاحتفال فى عهده دق البشائر بالقلعة ، وعلى أبواب

---

(١)البرزالى : علم الدين أبو محمد القاسم بن محمد بن يوسف البرزالى الإشبيلى الدمشقى (ت ٧٣٩هـ / ١٣٣٨م) المقتفى على كتاب الروضتين ، المعروف بتاريخ البرزالى ، حـ٢، ق١ ، تحقيق عمر عبد السلام تدمرى ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م ، ص ٢٤٩ .

(٢)الملك الأشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون، تولى السلطنة بعد وفاة والده سنة ٦٨٩هـ ، فتح عكا ، وأجلى الصليبيين من بلاد الشام ، قتله الأمير بيدرا فى عدة معه وهو يصطاد فى المحرم سنة ٦٩٣هـ ، وسلطنته ثلاث سنين ، (المقريزى: الخطط ، م٢ ، حـ ٣ ، ص ٣٨٨).

(٣)هو أحد مماليك المنصور قلاوون جلس على العرش بالقلعة سنة ٦٩٤هـ ، وكانت أيامه شر أيام ، لما حل بالبلاد من نوائب ، هاجمه نائبه لاجين فى طريق عودته من دمشق ففر سنة ٦٩٦هـ ، فكانت مدته سنتين . (المقريزى : الخطط ، م٢ ، حـ ٣ ، ص ٣٨٨).

(٤)العينى : بدر الدين محمود العينى (ت ٨٥٥هـ / ١٤٥١م) عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان ، عصر سلاطين المماليك ، تحقيق محمد محمد أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م ، حـ١ ،ص ٢٧٥ .

الأمراء ، وأرباب الولايات ، وتزيين دمشق[١] لأجل قدوم البشائر بالزيادة[٢] .

٢- وفى سلطنة الناصر محمد بن قلاوون[٣] الثانية أُدْخِل رسم جديد على تلك الرسوم وهو إسراج قنديل فى شباك المقياس ، وانتدب السلطان الناصر بيبرس الجاشنكير[٤] للنزول فى جزف ومعه حراريق أُخر ، وذلك لتخليق المقياس ، ولما عاد الجاشنكير ركب السلطان ونائب السلطنة وأمروا بفتح الخليج ، وصدرت الأوامر

---

(١)دمشق : قصبة الشام ، سميت بذلك لأنهم دمشقوا بناءها أى أسرعوا ، فتحها المسلمون سنة ١٤هـ ، بها كثير من مشاهد الصحابة والتابعين ، وينسب إليها كثير من العلماء والصلحاء ، (ياقوت الحموى : شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) معجم البلدان ، حـ٢ ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م ، ص ٤٦٣ ، ٤٧٠) .

(٢)ابن الجزرى : حوادث الزمان ، حـ ١ ، ص ٢٨٩ .

(٣) الناصر محمد بن قلاوون: أقيم فى السلطنة وعمره سبع سنوات ، وتولى لثلاث مرات ، دبر أموره فى المرة الأولى كتبغا ، وفى الثانية بيبرس الجاشنكير ، وتولى بنفسه فى الثالثة ، وطالت سلطنته فيها ، وتوفى سنة إحدى وأربعين وسبعمائة ، وكانت مدته الثالثة ٣٢ سنة ، ودفن بالقبة المنصورية ، (المقريزى : الخطط ، م٢ ، حـ ٣ ، ص ٣٨٨ ، ٣٨٩).

(٤)المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير ، من مماليك المنصور قلاوون أقيم فى السلطنة سنة ٧٠٨هـ ، حتى فر من قلعة الجبل فى رمضان سنة ٧٠٩هـ ، كانت مدته عشرة أشهر ، (المقريزى : الخطط ، م٢ ، حـ ٣ ، ص ٣٨٩) .

للناس بمنع المشالقة والمضاربة ، أو التعدى ، ومن وقع فى شيء من ذلك شُنق ، فلم يجرؤ أحد على أن يفعل شيئا [١] .

وفى سنة ثمان وسبعمائة فى سلطنة بيبرس الجاشنكير توقف النيل عن الزيادة ، وانتاب الناس حالة من الخوف ، فما كان من السلطان إلا أن رسم بكسر السد بدون وفاء ، ولم يخلق المقياس[٢] فتشاءم الناس بالسلطان وفعله ، ونظموا فى ذلك كلامًا ولحنوه وتغنوا به ، ومنه: " سلطاننا رُكين ، ونايبه ذُقين ، فالمايجى من أين ، هاتوا لنا الأعرج يجى الما ويدحرج "[٣] فكانت معاقبتهم بالقبض عليهم ، وإشهارهم على الجمال ، وقطع ألسنة بعضهم[٤] .

وفى سنة عشر وسبعمائة أوفى النيل وخُلِّق المقياس ، وكُسِر الخليج على العادة[٥] وكذا فى سنة خمس عشرة وسبعمائة[٦] .

---

(١)اليونينى : ذيل مرآة الزمان ، م١ ، ص ٤٧٥ ، ٤٧٦ .

(٢)النويرى : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى (ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م) ، نهاية الأرب فى فنون الأدب ، حـ ٣٢ ، تحقيق فهيم محمد علوى شلتوت ، مراجعة عبد العزيز الأهوانى ، وسعيد عبد الفتاح عاشور ، ط الثانية ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م ، ص ١٤٥ ، ابن إياس : نشق الأزهار : ص ٨٣ ، ٨٤ .

(٣)إبن إياس : بدائع الزهور ، حـ١ ، ق١ ، ص ٤٢٥ ، نشق الأزهار ، ص ٨٤ .

(٤)ابن إياس : بدائع الزهور ، حـ١ ، ق١ ، ص ٤٢٥ .

(٥)الفاخرى : بدر الدين بكتاش الفاخرى نقيب الجيوش فى مصر (ت ٧٤٥هـ / ١٣٤٤م) ، تاريخ الفاخرى ، حـ١ ، تحقيق عمر عبد السلام تدمرى ، ط الأولى ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م ، ص ٢٠٣.

(٦)الفاخرى : تاريخ الفاخرى ، حـ ١ ، ص ٢٢٩ .

٣- وكانت العادة قد جرت بكسر الخليج فى الصباح ، إلا أنه قد حدث ما استوجب تغيير ذلك الرسم فى عام(٧١٧هـ) سبع عشرة وسبعمائة فى سلطنة الناصر محمد ، حيث أوفى النيل ، وزاد عن الوفاء نصف ذراع ... فرسم السلطان بفتح السد بعد العصر خوفًا من قوة عزم الماء أن ينقلب السد[١] .

وكذا الحال فى سنة ستين وسبعمائة حيث بلغ النيل أربع أصابع من عشرين ذراعًا ، وثبت على ذلك لمدة، فخرج الناس إلى الصحراء يدعون بهبوطه[٢] .

وإذا كنا نتلمس الاهتمام برسوم زيادة النيل ، فقد سبق أن أشرنا إلى أمر المعز لدين الله الفاطمى بوقف المناداة على النيل إلا بعد مطالعته هو والوزير منعًا لحدوث اضطرابات ، أو قبض الغلال انتظارا للغلاء رغبة فى تحصيل الأموال ، فكان هذا الأمر من أعظم السياسات .

أما فى العصر المملوكى ، وتحديدًا فى سنة إحدى وستين وسبعمائة فى عهد السلطان الناصر ناصر الدين حسن بن محمد بن قلاوون[٣] ، فكانت

---

(١)ابن إياس : نشق الأزهار ، ص ٨٤ ، ٨٥ .

(٢)ابن شاهين الظاهرى : زين الدين عبد الباسط بن خليل بن شاهين الظاهرى الحنفى (ت ٩٢٠هـ / ١٥١٤م) نيل الأمل فى ذيل الدول ، ق١ ، حـ١ ، المكتبة العصرية ، بيروت ، د.ت ، ص ٣١٢ .

(٣)الناصر حسن بن محمد بن قلاوون ، أقيم فى السلطنة مرتين الأولى سنة ٧٤٨هـ ، وعمره إحدى عشرة سنة ، وقام بالأمر شيخو العمرى ، وكانت مدته الأولى أربع سنين، والمرة الثانية تسلطن سنة ٧٥٥هـ ، وقتله مملوكه يلبغا سنة ٧٦٢هـ ، وكانت مدته ست سنين .(المقريزى : الخطط ، م٢ ، حـ ٣ ، ص ٣٩٠).

زيادة النيل قد بلغت أربعة وعشرين ذراعًا ، فرسم السلطان لابن أبى الرداد بأن يبطل المناداة على الزيادة فى هذه الأيام ، وهى زيادة مقلة ، وبات الناس يتضرعون فى المساجد والمزارات . وقد ثبت النيل على ذلك مدة عشرين يومًا، وكان عدم وقوف العامة على المقياس من حسن السياسة[١] .

٤- وإذا كان للزيادة رسوم احتفالية ، فقد دأب المصريون فى حال نقصان ماء النيل وعدم الوفاء على الاجتماع بالمساجد للتضرع والدعاء ، ومن ذلك ما كان فى سنة أربعين وسبعمائة عندما توقف النيل ، فاجتمع الناس بجامع عمرو بن العاص (رضى الله عنه) وبعد اجتماعهم لمدة وجيزة زاد النيل ، واستمر فى الزيادة إلى أن أوفى[٢] .

وفى سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة فى عهد السلطان الأشرف شعبان[٣] زاد النيل زيادة مفرطة بلغت نحو اثنين وعشرين ذراعًا ، واستمر على ذلك فخرج الناس إلى جامع عمرو بن العاص والجامع الأزهر ، يدعون الله تعالى بهبوطه[٤] .

وكان النيل قد توقف عن الزيادة سنة خمس وسبعين وسبعمائة فى سلطنة الأشرف شعبان ، واستبد القلق بالعام والخاص ، فرسم السلطان

---

(١)ابن إياس : بدائع الزهور ، حـ١ ، ق١ ، ص ٥٦٩ ، نشق الأزهار ، ص ٨٧ .

(٢)ابن إياس : نشق الأزهار ، ص ٨٥ .

(٣)السلطان الأشرف زين الدين شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن المنصور قلاوون ، تولى سنة ٧٦٤هـ وعمره عشر سنين ، دبر أموره يلبغا ، واستبد بالأمر بعد قتل يلبغا إلى أن قتل سنة ٧٧٨هـ . (المقريزى : الخطط ، م٢ ، حـ٣ ، ص ٣٩٠ ، ٣٩١).

(٤)ابن شاهين الظاهرى : نيل الأمل ، حـ١ ، ق١ ، ص ٣١٢ .

للناس بالخروج للاستسقاء بجامع عمرو ، وخرج معهم جماعة من العلماء والصلحاء والأعيان ، فتدارك الله الناس بالزيادة والمطر، إلا أن النيل هبط جملة واحدة[١] .

وكان النيل قد توقف عن الزيادة سنة خمس وسبعين وسبعمائة ، وكسر الخليج[٢] وكذا سنة ست وسبعين وسبعمائة[٣] .

وبنظرة سريعة على الحقبة السابقة نستطيع أن نلمس اضطراب حقبة حكم أبناء بيبرس ، وتأثير ذلك على رسوم الاحتفال ، بحيث لم يرد لها ذكر فى عهدهم ، أما المنصور قلاوون وابنه خليل ، فقد شغلا بالجهاد ضد الصليبيين والمغول، وتطهير الأراضى الإسلامية منهم ، ورغم ذلك أشير فى بعض المصادر إلى التفاتهما فى بعض الأحيان إلى تلك الرسوم ، وأما حكم الناصر محمد بن قلاوون ، فقد شهد اضطرابا فى مُدَّتَي سلطنته الأولى والثانية ، وسارت البلاد مسرحا للقوى المتنافسة على السلطة ، فضلا عن اضطراب أحوال النيل ، مما أثر على تلك الرسوم ، وفى حال العناية بها كان يستناب لها فى بعض الأحيان ، ووصل الاضطراب ذروته فى عهد أبناء وأحفاد

---

(١)ابن دقاق : صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائى (ت ٨٠٩هـ / ١٤٠٦م) " النقحة المسكية فى الدولة التركية " من كتاب " الجوهر الثمين فى سير الخلفاء والملوك والسلاطين " ، تحقيق عمر عبد السلام تدمرى، المكتبة العصرية ، د.ت ، ص ٢١٣ ، ابن حجر العسقلانى : شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على ابن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٩م) إنباء الغمر بأبناء العمر ، حـ ١ ، ط١ ، ١٩٦٧م ، ط٢ ، ١٩٨٦م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص ٧٦ ، ابن شاهين الظاهرى: نيل الأمل، حـ ١، ق٢ ، ص ٥٨، ابن إياس: نشق الأزهار، ص٨٩.

(٢)ابن إياس : نشق الأزهار ، ص ٨٩ .

(٣)المقريزى : إغاثة الأمة بكشف الغمة ، ص ٤٠ .

الناصر محمد بن قلاوون لضعفهم وصغر أعمارهم ، وسيطرة الأمراء عليهم ، فنالت تلك الرسوم حظها من الإهمال .

ورغم تأثير اضطرابات عصر أبناء الناصر محمد بن قلاوون وأحفاده على الرسوم الاحتفالية بزيادة النيل إلا أننا شهدنا رسمًا ينسب إلى ذلك العهد ، تمثل فى كتاب نسخة مثال شريف[١] لنائب طرابلس[٢] وهذه المكاتبة توجه لنواب الأعمال الأكابر والأصاغر ، وتجهز إلى أكابر النواب خيول صحبة ذلك المثال الشريف ، ويرسم لهم بالركوب فى ميادين الممالك للعب بالكرة تأسيًا بالسلطان ، فيركبون ويلعبون الكرة ، فتكتب إلى جميع النيابات لا يختلف فيها سوى صدرها بحسب ما يقتضيه حال ذلك النائب ، وذلك ابتهاجا بزيادة النيل[٣] .

كانت عادة اللعب بالكرة فى الميادين التى تشرف على النيل قد أُثرت عن الأيوبيين ، وتحديدًا السلطان الصالح نجم الدين أيوب[٤] الذى اتخذ

---

(١)هو أن تُنشأ نسخة كتاب من ديوان الإنشاء الشريف ، ويكتب بها إلى جميع النيابات ، لا يختلف فيها سوى صدرها ، بحسب ما يقتضيه حال ذلك النائب . القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ٨ ،ص ٣٣٣.

(٢)طرابلس : مدينة ببلاد الشام على الساحل ، على طرف داخل فى البحر ، فتحها المسلمون من الصليبيين سنة ٦٨٨هـ وعمروها، بينها وبين بعلبك أربعة وخمسون ميلا ، وبينها وبين دمشق تسعون ميلاً ، (أبو الفدا: تقويم البلدان ، ص ٢٥٣).

(٣) القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ ٨ ، ص ٣٣٣ .

(٤)السلطان الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد ، تسلطن سنة ٦٣٧هـ ، بنى قلعة الروضة ، وفى أيامه نزل الفرنج على دمياط سنة ٦٤٧هـ ، وخرج إليهم بناحية المنصورة وهو مريض ، فمات سنة ٦٤٧هـ ، ومدة سلطنته تسع سنين .(المقريزى : الخطط ، م٢ ، حـ٣ ، ص ٣٨٣).

الميدان الصالحى[١] ميدانا تلعب فيه الكرة ، ثم جعلها المماليك رسمًا للابتهاج بزيادة النيل[٢] .

والغريب أن هذه المكاتبة تعود لتاريخ كانت زيادة النيل فيه أربع أصابع من عشرين ، وكان الناس يدعون بهبوطه[٣] ، فمن المحتمل أن تكون مياه النيل قد هبطت حتى يؤمر بتلك البشارة والأمر بالركوب واللعب ، وهذا الرسم يعد من خصائص الرسوم التى ظهرت فى العصر المملوكى .

وفى سلطنة السلطان برقوق[٤] سنة خمس وثمانين وسبعمائة ، أوفى النيل فركب السلطان يوم الخامس من مسرى فخلق المقياس ، وفتح الخليج على العادة ، ولم يعهد بعد الملك الظاهر بيبرس ملك ركب حتى خلق

---

(١)هذا الميدان بأرض اللوق من بر الخليج الغربى ، اشتراه الصالح نجم الدين أيوب من حصن الدين ثعلب سنة ٦٤٣هـ وجعله ميدانًا فيه مناظر تشرف على النيل ، وصار يلعب فيه بالكرة ، (المقريزى : الخطط ، م٢ ، حـ ٣ ، ص ٣٢١).

(٢)المقريزى : الخطط ، م٢ ، حـ ٣ ، ص ٣٢٥ ، ٣٢٦ .

(٣)ابن إياس : نشق الأزهار ، ص ٨٦ .

(٤)السلطان الظاهر أبو سعيد برقوق بن آنص ، جركسى بيع ببلاد القرم ، وجلب إلى مصر فاشتراه يلبغا الخاصكى وجعله من جملة مماليكه ، وتسلطن بعد حاجى سنة ٧٨٤هـ ، ثم فر سنة ٧٩١هـ ، وقبض عليه وسجن بالكرك ، ثم عاد إلى القاهرة ، واستبد بالسلطنة سنة ٧٩٢هـ ، وتوفى سنة ٨٠١هـ ، فكانت مدته أتابكًا وسلطانًا ٢١ سنة .(المقريزى : الخطط ، م٢ ، حـ ٣ ، ص ٣٩١ ، ٣٩٢) .

المقياس وفتح الخليج إلا الملك الظاهر برقوق[١] ، وقد استمر اهتمام السلطان برقوق بأمر رسوم الاحتفال بزيادة النيل طيلة فترة سلطنته[٢] .

وفى سنة ست وثمانين وسبعمائة ركب السلطان لتخليق المقياس ، فخلقه وفتح الخليج بحضرته على العادة ، ورجع إلى القلعة بعد أن خلع على أصحاب الوظائف ، وأولاد ابن الرداد، الريسا[٣] بالبحر[٤] ، وهكذا بدأت الرسوم تعود إلى سابق عهدها شيئا فشيئا بداية من عهد برقوق.

٥- وفى سنة ثمان وثمانين وسبعمائة كان وفاء النيل ، فرسم السلطان للأمير قردم الحسنى[٥] والأمير يونس الدوادار[٦] أن يتوجها

---

(١)ابن حجر العسقلانى : إنباء الغمر ، حـ ٢ ، ص ١٢٥ ، ابن الصيرفى : الخطيب الجوهرى على بن داود الصيرفى (ت ٩٠٠هـ / ١٤٩٤م) نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الزمان ، حـ١ ، تحقيق حسن حبشى ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٠م ، ص ٦٧ ، السيوطى : كوكب الروضة ، ص ١٦٩ .

(٢)السيوطى : كوكب الروضة ، ص ١٦٩ .

(٣) أوضحت بعض المصادر أن ريسا البحر هم أصحاب المراكب . المقريزى : السلوك ، حـ٤ ، ق٣ ، ص ١٢٥ ، ابن الصيرفى : نزهة النفوس والأبدان ، حـ٤ ، ص ١٩٥ ، ابن إياس : بدائع الزهور، حـ٢ ،ص٢٢٩.

(٤)ابن الصيرفى : نزهة النفوس ، حـ ١ ، ص ٩٧ ، ابن شاهين الظاهرى : نيل الأمل ، حـ ١ ، ق٢ ، ص ٢١٦ .

(٥)قردم الحسنى : كان مقداما وتولى خازندار كبير مات فى أربع عشرة وثمانمائة ، ولم يكن به بأس . (السخاوى : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى (ت ٩٠٢هـ / ١٤٩٧م) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، ط الأولى ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، حـ٦ ، ص ٢١٨) .

(٦)هو يونس الدوادار ، صاحب خان يونس قرب غزة فى الطريق إلى مصر ، وكان مقتله سنة ٧٩١هـ ، (ابن الصيرفى : نزهة النفوس ، حـ ١ ، ص ١٣٤) .

لتخليق المقياس ، وفتح الخليج بحضورها ، فركبا وامتثلا ما رسم لهما به[١] ، وكذا فى سنة إحدى وتسعين وسبعمائة نودى بوفاء النيل ، فكان تخليق المقياس وفتح الخليج[٢] ، وكان هذا آخر العهد بالسلطان برقوق تجاه تلك الرسوم التى طالما اهتم بإحيائها سواء بنفسه أو بمن ينوب عنه وذلك فى سلطنته الأولى .

وفى سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة فى سلطنة الصالح حاجى[٣] الأخيرة رسم السلطان لبعض الأمراء بتخليق المقياس ، وفتح الخليج[٤] ربما كان ذلك تأسيا بما كان فى عهد برقوق ، أو أنَّ ذلك السلطان كان مغلوبا على أمره .

وفى سنة خمس وتسعين وسبعمائة كان وفاء النيل ، فركب السلطان إلى المقياس وفتح الخليج على العادة[٥]، ولما أوفى النيل سنة ست وتسعين وسبعمائة خُلِّق المقياس وفُتِح الخليج[٦]، وكل ذلك فى سلطنة برقوق الثانية.

---

(١)ابن الصيرفى : نزهة النفوس ، حـ ١ ، ص ١٣٤ .

(٢)ابن الصيرفى : نزهة النفوس ، حـ ١ ، ص ٢٣٤ .

(٣)الصالح حاجى تلقب فى سلطنته الأولى ٧٨٣هـ بزين الدين ، ولما أعيد للسلطنة سنة ٧٩١هـ ، لقبه يلبغا الناصرى بالملك المنصور ، تسلطن سنة ٧٨٣هـ ، ودبر أموره الأتابك برقوق فى سلطنته الأولى ، وخلعه برقوق سنة ٧٨٤هـ ، ثم أعاده يلبغا الناصرى ، فكانت سلطنته الثانية سنة ٧٩١هـ ، ثم دخل برقوق القاهرة سنة ٧٩٢هـ وتم الخلاص منه ، (المقريزى : الخطط ، م٢ ، حـ ٣ ، ص ٣٩٠ إلى ص ٣٩٢) .

(٤)ابن الصيرفى : نزهة النفوس ، حـ ١ ، ص ٣١١ .

(٥)ابن الصيرفى : نزهة النفوس ، حـ ١ ، ص ٣٦٢ ، ابن شاهين : نيل الأمل ، حـ ١ ، ق٢ ، ص ٣٣٤ ، ابن إياس : نشق الأزهار ، ص ٩١ .

(٦)ابن الصيرفى : نزهة النفوس ، حـ ١ ، ص ٣٩٠ .

وقد استمر الاهتمام بتلك الرسوم ؛ففى سنة سبع وتسعين وسبعمائة وفَّى النيل ستة عشر ذراعًا؛ فركب السلطان حتى عدى النيل إلى المقياس فخلقه بالزعفران ، ثم فتح الخليج ، وخلع على أصحاب الوظائف على العادة[١] .

كذلك كان ركوب السلطان لتخليق المقياس ، وفتح الخليج ، والخلع على أرباب الوظائف بعدما أوفى النيل سنة ثمان وتسعين وسبعمائة[٢] ، وفى سنة تسع وتسعين أوفى النيل فنزل السلطان برقوق لفتح السد بنفسه[٣] وهو ما يعنى أن السلطان باشر فتح الخليج بنفسه ، ولم يقتصر الأمر على فتحه بحضرته ، وذلك مبالغة فى الاهتمام بهذا الأمر .

وفى سنة اثنتين وثمانمائة نزل الأمير يشبك[٤] للتخليق وفتح الخليج بعد تحذير السلطان فرج بن برقوق[٥] من النزول[٦] .

---

(١)ابن الصيرفى : نزهة النفوس ، حـ ١ ، ص ٤١٣.

(٢)ابن الصيرفى : نزهة النفوس ، حـ ١ ، ص ٤٣١ .

(٣)ابن حجر : إبناء الغمر ، حـ ٣ ، ص ٣٣٤ ، ابن إياس : نشق الأزهار ، ص ٩٢ .

(٤)يشبك الساقى الظاهرى ، يعرف بالأعرج ، عينه الأشرف برسباى أتابكًا ، فنزل من القلعة إلى دار الأتابك فعز عليه ذلك ، كان عاقلاً سيوسًا ، من خيار الأمراء ، كثير الديانة والعبادة ، (السخاوى : الضوء اللامع ، حـ ١٠ ، ص ٢٧٦ ، ٢٧٧) .

(٥)الناصر زين الدين أبو السعادات فرج بن برقوق ، تسلطن بعد وفاة أبيه سنة ٨٠١هـ ، ثار به الأمير يشبك ثم فر إلى الشام وقتل بها ، وأيامه أيام فتن ، وقتل فرج بدمشق سنة ٨١٥هـ .(المقريزى : الخطط ، م٢ ، حـ ٣ ، ص ٣٩٢ ، ٣٩٣) .

(٦)ابن حجر : إنباء الغمر ، حـ ٤ ، ص ١٣٦ ، ابن شاهين : نيل الأمل ، حـ ١ ، ق٣ ، ص ٤٤ .

وفى سنة ست وثمانمائة فى عهد الناصر فرج توقف النيل عن الزيادة ، وبقى على حد الوفاء اثنتين وعشرين إصبعًا من الذراع السادسة عشرة ، ثم نقص ولم يوف ؛ فرسم السلطان بفتح السد من غير وفاء[١] وهذا الرسم مما استحدث فى عهد دولة المماليك .

ونزل السلطان لفتح الخليج سنة سبع وثمانمائة[٢] ، وفى سنة ثمان وثمانمائة عندما أوفى النيل توجه الأمير فارس[٣] حاجب الحجاب[٤] إلى المقياس ، وخلَّق العمود ، ونزل فى الحراقة ، وفتح السد ، إلا أن السلطان نزل بنفسه فى سنة إحدى عشرة وثمانمائة وفتح السد ، وكذا فى سنة اثنتى عشرة وثمانمائة[٥] .

---

(١)ابن حجر : إبناء الغمر ، حـ ٥ ، ص ١٩٤ ، ص ١٩٥ ، ابن إياس : نشق الأزهار ، ص ٩٢ .

(٢)السيوطى : كوكب الروضة ، ص ١٦٩ ، ابن شاهين : نيل الأمل ، حـ١ ، ق٣ ، ص ١٠٧ .

(٣)فارس القطلوقجاوى الرومى الظاهرى برقوق ، أصله من مماليك خليل بن عرام ، اشتراه من بعض الخبازين بالإسكندرية ، آل أمره أن صار من مماليك الظاهر برقوق وحظى عنده ، ورقاه فى الخدم من إمرة عشرة إلى طبلخاناه ، ثم ولاه الحجوبية الكبرى ، وكان شجاعا حسن الرمى . السخاوى : الضوء اللامع ، حـ٦ ،ص ١٦٤.

(٤)رتبة جليلة فى الدولة التركية ، يقال لأكبر الحجبة حاجب الحجاب ، وموضوعها أن متوليها ينصف من الأمراء والجند ، تارة بنفسه ، وتارة بمشاورة السلطان .(المقريزى : الخطط ، م٢ ، حـ ٣ ، ص ٣٥٦).

(٥) ابن شاهين: نيل الأمل ، حـ١ ، ق٣ ، ص ١٦٣ ، ابن إياس : نشق الأزهار ، ص ٩٣ .

٦- وفى سنة ثلاث عشرة وثمانمائة قدم ابن أبى الرداد إلى دمشق ليبشر السلطان بوفاء النيل[١] ، وهو ما يعنى مثول ابن أبى الرداد حيث يوجد السلطان فى أى مكان بالسلطنة ، خاصة وأنه كان خارج القاهرة فارًّا من منافسيه[٢] .

وفى مدة سلطنة الخليفة العباسى[٣] سنة خمس عشرة وثمانمائة أوفى النيل فتوجه لفتح السد ثلاثة من الأمراء ، وهم أمير سلاح[٤] ، وأمير مجلس[٥] ، ودوادار[٦] كبير[٧] .

---

(١) المقريزى : كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ، حـ ٤ ، ق١ ، تحقيق وتقديم سعيد عبد الفتاح عاشور ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٢م ، ص ١٣٩ .

(٢)المقريزى : الخطط ، م٢ ، حـ ٣ ، ٣٩٢ .

(٣)الخليفة العباسى المستعين بالله أبو الفضل العباس بن محمد العباسى ، أقامه الأمير شيخ فى السلطنة وبايعه سنة ٨١٥هـ ، واستبد شيخ ونوروز بالأمر ، وغلبوا الخليفة على أمره ، وكانت مدة الخليفة فى السلطنة سبعة أشهر .(المقريزى: الخطط ، م٢ ، حـ ٣ ، ص ٣٩٣ ، ٣٩٥) .

(٤)أمير سلاح : مقدم السلاحدارية ومتولى حمل السلاح للسلطان فى المجامع الجامعة ، وهو المتحدث فى السلاح خاناه . (القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ٤ ، ص١٨) .

(٥)أمير مجلس : هو الذى يتحدث عن الأطباء والكحالين ومن شاكلهم ، ويتولى أمر مجلس السلطان أو الأمير فى الترتيب وغيره . (محمد قنديل البقلى : التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٣م ، ص٤٥).

(٦)الدوادار : موضوعه تبليغ الرسائل عن السلطان ، وإبلاغ عامة الأمور ، وتقديم القصص إلى السلطان والمشاورة على من يحضر إلى الباب ، وتقديم البريد . (القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ٤ ،ص ١٩) .

(٧)وهم الأمير يلبغاالناصرى أمير مجلس ، والأمير شاهين الأفرم أمير سلاح ، والأمير طوغان الحسنى الدوادار.المقريزى : السلوك ، حـ ٤ ، ق١ ، ص ٢٣٨ ، ابن الصيرفى : نزهة النفوس والأبدان ، حـ ٢ ، ص ٣١٦ .

٧- وفى سلطنة السلطان المؤيد شيخ[١] سنة ست عشرة وثمانمائة ، ركب السلطان حتى خلق المقياس بين يديه ، ثم فتح الخليج ، ثم كانت أوامره سنة ثمان عشرة وثمانمائة عند الوفاء أن يزين كل أمير من الأمراء حراقته ، ويزود بها الطبول والزمور وغيرها ، ففعلوا ذلك ، وكانت لهم بهجة زائدة فى ذلك العام[٢] .

٨- وهناك بعض الرسوم التى تم اتخاذها حال توقف النيل عن الزيادة، ومن ذلك ما حدث سنة تسع عشرة وثمانمائة ، حيث ندب السلطان طائفة من القراء إلى الاجتماع لتلاوة الكتاب العزيز بالمقياس ، وأجرى عليهم من الأطعمة ما يليق بهم ، وفرق فيهم مالاً ، وأقاموا على ذلك بالمقياس[٣] .

كذلك ندب السلطان حاجب الحجاب للتوجه إلى جزيرة الروضة ليحرق الخيام التى نصبت هناك ، ويفرق الناس[٤] ، فأوفى النيل ونزل السلطان ، وكسر السد على العادة[٥] .

---

(١)المؤيد شيخ بن عبد الله المحمودى الظاهرى ، وكان يعرف بالخاصكى ، وهو الثامن والعشرين من ملوك الترك وأولادهم ، والرابع من ملوك الجراكسة ، بويع بالسلطنة بعد خلع الخليفة العباسى سنة ٨١٥هـ . (ابن إياس : بدائع الزهور ، حـ ٢ ، ص ٣) .

(٢)المقريزى : السلوك ، حـ ٤ ، ق١ ، ص ٢٦٣ ، السيوطى : كوكب الروضة ، ص ١٦٩ ، ابن شاهين الظاهرى : نيل الأمل ، حـ ١ ، ق٣ ، ص ٢٨٧ ، ابن إياس : نشق الأزهار ، ص ٩٣ ، بدائع الزهور ، حـ ٢ ، ص ٢٢ .

(٣)المقريزى : السلوك ، حـ ٤ ، ق١ ، ص ٣٥٧ ، ابن شاهين الظاهرى: نيل الأمل ، ق٣ ، حـ ١ ، ص ٣٠٨.

(٤)ابن إياس : بدائع الزهور، حـ ٢ ، ص ٢٧ ، نشق الأزهار ، ص ٩٤ .

(٥)ابن إياس : بدائع الزهور، حـ ٢ ، ص ٢٨ ، نشق الأزهار ، ص ٩٤ .

وقد تمت الإشارة إلى فتح الخليج سنة عشرين وثمانمائة بعد مدة من التوقف اهتزت لها قلوب الناس فلما أوفى النيل فتح الخليج[١] ، وفى عامى واحد وعشرين واثنين وعشرين وثمانمائة ركب السلطان لتخليق المقياس ، وفتح الخليج فى الذهبية ، وحوله المراكب المزينة والمزودة بالطبول والزمور[٢] .

لقد سار السلطان المؤيد شيخ على هدى من سبقوه عند توقف زيادة النيل ، بل وزاد عليهم، ومن ذلك ما حدث فى سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة من توقف زيادة النيل ، فارتفعت أسعار الغلال ، فأمر السلطان بالمناداة بترك العمل بالمعاصى والتزام الخير ، كما نودى بعدها بصيام ثلاثة أيام ، والخروج إلى الصحراء ، فصام الكثير من الناس وصام السلطان ، ثم نودى بالخروج إلى الجبل صباحًا ، ونصب فى الصحراء منبر لقاضى القضاة ، وقرأ سورة الأنعام ، وأقبل الناس أفواجًا من كل جهة ، ثم أقبل السلطان بعد ذلك ، وقد تزيا بثوب صوف أبيض خال من الزينة ، فنزل عن فرسه وجلس على الأرض بغير بساط ولا سجادة بقرب منبر قاضى القضاة ، ثم صلوا ركعتين كهيئة صلاة العيد ، ثم ألقى القاضى خطبة حث الناس على التوبة والاستغفار، وأطال الدعاء والسلطان من خلفه يبكى وينتحب ، ثم عاد

---

(١)المقريزى : السلوك ، حـ ٤ ، ق١ ، ص ٣٩٧، ابن إياس: نشق الأزهار، ص٩٤.

(٢)ابن شاهين : نيل الأمل ، ق٤ ، حـ ١ ، ص ٤٢ ، ص ٤٣ ، ابن إياس : بدائع الزهور ، حـ ٢ ، ص ٣٩، نشق الأزهار ، ص ٩٤ ، ٩٥ .

السلطان والعامة من حوله حتى وصل القلعة وكان يومًا مشهودًا[١] ، ثم كانت المناداة على زيادته فتباشر الناس بذلك[٢] ، فركب السلطان إلى المقياس وفتح الخليج على العادة[٣] .

وعندما أوفى النيل سنة أربع وعشرين وثمانمائة فتح الخليج على العادة، وكان السلطان قبل يوم البشارة قد نزل للسباحة فى البحر ، فزاد ثانى يوم ، فسُر السلطان بذلك[٤] .

وفى سنة خمس وعشرين وثمانمائة توجه الأتابكى يلبغا المظفرى[٥] لكسر السد، وكان يومًا مشهودًا، وذلك فى بداية سلطنة الأشرف برسباى[٦]،

---

(١)المقريزى : السلوك ، حـ ٤ ، ق١ ، ص ٥٣٢ ، ابن حجر العسقلانى : أنباء الغمر ، حـ ٧ ، ص ٣٨٣ ، ص ٣٨٤ ، ابن شاهين الظاهرى : نيل الأمل ، ق٤ ، حـ ١ ، ص ٦٢ ، ٦٣ ، ابن إياس : نشق الأزهار ، ص ٩٥ .

(٢)المقريزى : السلوك ، حـ ٤ ، ق١ ، ص ٥٣٢ .

(٣)المقريزى : السلوك ، حـ ٤ ، ق١ ، ص ٥٣٦ ، ابن حجر العسقلانى : أبناء الغمر ، حـ ٧ ، ص ٣٩٢ ، ابن شاهين الظاهرى : نيل الأمل ، ق٤ ، حـ١ ، ص ٦٦ .

(٤)المقريزى : السلوك ، حـ ٤، ق١، ص ٥٨٠، ابن إياس: نشق الأزهار ، ص ٩٦.

(٥)يلبغا المظفرى : التركى الجاركسى نسبة لجاركس القاسمى ، ترقى فى دولة الظاهر جقمق ، تولى نيابة دمياط ، ثم عزل عنها ، وقدم القاهرة واستقر بها ، ولزم بيته حتى مات سنة ٨٥٨هـ . (السخاوى : الضوء اللامع ، حـ ١٠ ، ص ٢٨٨) .

(٦)أحد مماليك الظاهر برقوق ، وجلس على عرش السلطنة سنة ٨٢٥هـ ، وتوفى سنة ٨٤١هـ ، فكانت مدة سلطنته ست عشرة سنة .(المقريزى : الخطط ، م٢ ، حـ ٣ ، ص ٣٩٦) .

كما انتدب السلطان ابنه الأمير ناصر الدين محمد بن الأشرف برسباى لفتح السد فى سنة ست وعشرين وثمانمائة[١] .

وتكرر ركوب الأمير محمد بن السلطان الأشرف برسباى لتخليق المقياس وكسر السد فى سنوات سبع وعشرين وثمانٍ وعشرين وتسع وعشرين وثلاثين على التوالى[٢] .

وقبل الزيادة التى حدثت فى سنة ثلاثين وثمانمائة كان النيل قد توقف فجمع السلطان القضاة والمشايخ عنده ، وقرئت سورة الأنعام أربعين مرة فى ليلة واحدة ، وكان الدعاء بجريان النيل ، ثم ركب السلطان إلى الجرف الذى يقال له الرصد[٣] ، ووقف بفرسه ساعة وهو يدعو ثم عاد إلى القلعة[٤] ، ثم

---

(١)المقريزى : السلوك ، حـ ٤ ، ق٢ ، تحقيق سعيد عاشور ، ط ١٩٧٢م ، ص ٦٤١ ، ابن الصيرفى : نزهة النفوس ، حـ ٣ ، ص ٩ ، ابن إياس : بدائع الزهور ، حـ ٢ ، ص ٨٣ ، ٨٧ ، نشق الأزهار ، ص ٩٦.

(٢)المقريزى : السلوك ، حـ ٤ ، ق٢ ، ص ٦٩٠ ، ص ٦٩٤ ، ٧٤٥ ، ابن الصيرفى : نزهة النفوس ، حـ ٣ ، ص ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ١٢٣ ، ابن شاهين : نيل الأمل ، ق٤ ، حـ ١ ، ص ١٧٩ ، ابن إياس : نشق الأزهار ، ص ٩٧ .

(٣)يقال أنه كان يعرف بالجرف ثم عرف بالرصد لأن الأفضل شاهنشاه أمير الجيوش بدر الجمالى أقام فوقه كره لرصد الكواكب فعرف منذ ذلك الوقت بالرصد .والرصد اليوم يعرف بجبل اسطبل عنتر جنوب القاهرة ، وشمال منطقة البساتين – بركة الحبش قديما – التابعة للجيزة ، وهى واقعة بين زمام الجيزة والقاهرة . (المقريزى : الخطط ، م١ ، حـ١ ، ص ٢٠٢) ، محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، ق١ ، ص١٥٠ ، ق٢ ، حـ٣ ، ص ٤.

(٤)المقريزى : السلوك ، حـ ٤ ، ق٢ ، ص ٧٤٩ ، ابن إياس : بدائع الزهور ، حـ ٢ ، ص ١١٦ .

نزل الوالى إلى جزيرة الروضة وحرق الخيام التى بها ، ثم أوفى النيل وكسر السد[١] .

وتنتقل الدولة من النهى عن ارتكاب المنكرات على سطح النيل وبالقرب منه فى موسم الزيادة إلى النهى بالفعل والطرد وحرق الخيام ، وهو ما يدل على إصرار المصريين على جارى عادتهم فى الاحتفال بالزيادة بشيء من المجون .

استمر ركوب الأمير محمد بن السلطان برسباى لتخليق المقياس وكسر السد فى سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة ومعه الأمراء[٢] .

وبعد أن أوفى النيل فى سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة هبط سريعًا ، فشرقت البلاد ، وارتفع الغلاء ، فاتجه السلطان الأشرف برسباى إلى رباط الآثار النبوية[٣]، فزار ودعا بالزيادة[٤] ، فكانت إجابة الدعاء ، وزيادة النيل، ونزول الأمير محمد للتخليق وكسر السد[٥] .

---

(١)ابن شاهين الظاهرى : نيل الأمل ، ق٤ ، حـ ١ ، ص ٢١٨ ، ٢١٩ ، ابن إياس : نشق الأزهار ، ص ٩٧.

(٢)المقريزى : السلوك ، حـ ٤ ، ق٢ ، ص ٧٨١ ، ابن إياس : بدائع الزهور ، حـ ٢ ، ص ١٢ ، نشق الأزهار ، ص ٩٧ .

(٣)هذا الرباط بالقرب من بركة الحبش مطل على النيل ، ومجاور لبستان المعشوق ، عمره الصاحب تاج الدين محمد بن الصاحب فخر الدين محمد ولد الصاحب بهاء الدين على بن حنا ، قيل له رباط الآثار ؛ لأن فيه قطعة خشب وحديد يقال إن ذلك من آثار رسول الله (ص) اشتراها الصاحب تاج الدين بمبلغ ستين ألف درهم فضة من بنى إبراهيم أهل ينبع ، وكانت عندهم موروثة من واحد إلى آخر إلى رسول الله (ص) وحملت إلى هذا الرباط ، ويتبرك الناس بها .(المقريزى : الخطط ، م٢، حـ ٤، ص ٢٩٥ ، ٢٩٦).

(٤)ابن الصيرفى : نزهة النفوس ، حـ ٣ ، ص ١٦٢ ، ابن شاهين الظاهرى : نيل الأمل ، ق٤ ، حـ ١ ، ص ٢٥٨ ، ابن إياس : نشق الأزهار ، ص ٩٧ ، ٩٨ .

(٥)ابن الصيرفى : نزهة النفوس ، حـ ٣ ، ص ١٦٢ ، ابن إياس : نشق الأزهار ، ص ٩٧ .

وهكذا تعددت السبل التى سلكها السلاطين تضرعًا إلى الله فى حال توقف النيل عن الزيادة ، وآخرها التبرك بالآثار النبوية.

ثم كانت المرة الوحيدة التى نزل فيها الأشرف برسباى لتخليق المقياس ، وفتح السد ، فى سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة ، وذلك بعد وفاة ابنه الأمير محمد فى الوباء الذى حل بالبلاد ، فكان الناس يتعجبون من نزوله لتلك الرسوم بعد فقد ابنه ، وكانت المناداة على النيل قد توقفت لعدة مرات فى ذلك العام[١] ، وذلك لتدفق الزيادة أحيانًا ، وتوقفها أحيانًا أخرى[٢] .

ثم شهدت المدة اللاحقة ركوب بعض الأمراء لعمل تلك الرسوم ؛ففى سنة أربع وثلاثين وثمانمائة ركب الأمير قرقماش الشعبانى[٣] حاجب الحجاب وفتح السد،وكذا فى سنة خمس وثلاثين نزل الأمير جمقمق العلائى[٤] أمير

---

(١)السيوطى: كوكب الروضة، ص١٦٩، ابن إياس: بدائع الزهور، حـ٢، ص ١٣٥، نشق الأزهار :ص٩٨.

(٢)ابن حجر العسقلانى : أبناء الغمر ، حـ ٨ ، ص ١٩٩ ، المقريزى : السلوك ، حـ ٤ ، ق٢ ، ص ٨٣٥ ، ابن الصيرفى : نزهة النفوس ، حـ ٣ ، ص ١٦٨ ، ١٩٨ .

(٣)قرقماش الشعبانى : الظاهرى برقوق ثم الناصرى ، ويعرف بقرقماش أهرام صاغ، أى جبل الأهرام ، لتكبره ، من كتابية الظاهر ثم أعتقه ابنه ، ثم صار فى الدوادارية ،وثب على جقمق فقُبض عليه وتمت محاكمته ، وضربت عنقه وهو ابن نيف وخمسين سنة ، وكان متكبرًا ظالمًا . (السخاوى : الضوء اللامع ، حـ ٦ ، ص ٢١٩ ، ٢٢٠) .

(٤)جقمق العلائى : أبو سعيد الجركسى العلائى نسبة إلى على بن الأتابك إينال اليوسفى؛ لأنه اشتراه ثم أعتقه، استقر فى الحجوبية أيام برسباى ، ثم الأخورية ، كان كثير التفقد للمحابيس والكشف عنهم ، والإحسان إلى الأيتام ، مائلا لتجديد القناطر والجوامع ، مات وقد زاد على الثمانين ، سنة سبع وخمسين وثمانمائة. (السخاوى : الضوء اللامع ، حـ ٣ ، ص ٧٠ – ٧٤).

أخور كبير[١] وفتح السد على العادة[٢] ، ولم يرد بذلك الخبر ما يدل على الاهتمام بالرسوم المتعارف عليها فى ذلك الموسم ، سوى أمر كسر السد ، كما أصبح من المتعارف عليه ركوب من يرسم له السلطان بالركوب للتخليق والكسر سواء كان من أبناء السلطان أو أحد الأمراء .

وسيرًا على هدى السابقين نزل المقام الجمالى يوسف بن السلطان[٣] فخلق المقياس وفتح السد فى عام ثمان وثلاثين وثمانمائة ، وتسع وثلاثين وثمانمائة ، وعام أربعين وثمانمائة وكان معه حشد كبير من الأمراء والمماليك[٤] .

وكان السلطان جقمق[٥] قد رسم لابنه الأمير يوسف بالركوب لتخليق المقياس وفتح سد الخليج على العادة فى سنة إحدى وأربعين وثمانمائة[٦] .

---

(١)آميرآخور كبير : هو رئيس الإصطبل السلطانى ، والمشرف على خيله . المقريزى : الخطط ، م٣ ، حـ ٣، ص ٣٦٥ .

(٢)ابن الصيرفى : نزهة النفوس ، حـ٣ ، ص ٢٤٠ ، ابن شاهين الظاهرى : نيل الأمل ، ق٤ ، حـ١ ، ص٣٠٠ ، ٣٠١ ، ابن إياس : نشق الأزهار ، ص ٩٨.

(٣)العزيز جمال الدين يوسف بن برسباى حكم ٩٤ يومًا ، وتقلد فى ٨٤١هـ . (عبد الله الشرقاوى : تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الملوك والسلاطين ، تحقيق رحاب عبد الحميد القارى ، مكتبة مدبولى ، القاهرة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م ، ص ١٧٨).

(٤)المقريزى : السلوك ، حـ ٤ ، ق٢ ، ص ٩٥٥ ، ابن الصيرفى : نزهة النفوس ، حـ ٣، ص ٣٦٧ ، ابن شاهين الظاهرى : ق ٤ ، حـ ١ ،ص ٣٨٥ ، ابن إياس : نشق الأزهار ، ص ٩٩ ، ١٠٠.

(٥)الملك الظاهر جقمق تولى السلطنة فى سنة ٨٤٢هـ ، وخلع نفسه من الملك فى مرض موته ، وتولى بعده بعهده ابنه عثمان سنة ٨٥٧هـ . (المقريزى : الخطط ، م٢ ، حـ ٣ ، ص ٣٩٦) .

(٦)المقريزى : السلوك ، حـ٤ ، ق٢ ، ص ١٠١٩ ، ابن شاهين الظاهرى : نيل الأمل ، ق٥ ، حـ ٢ ، ص ١١، ابن إياس : بدائع الزهور ، حـ ٢ ، ص ١٧٧ .

ولمّا كان وفاء النيل سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة ركب الأمير يشبك الأتابك[١] فَخُلِّق المقياس بين يديه ثم فتح الخليج[٢] . وفى سنة أربع وأربعين ركب المقام الناصرى محمد إلى المقياس وخلق العمود بين يديه على العادة ثم فتح الخليج ، وخلع على أصحاب الوظائف وابن أبى الرداد والريسا أصحاب المراكب ، ووالى مصر وغيرهم ثم عاد إلى القلعة فى موكب عظيم[٣].

وتولى المقام الناصرى محمد[٤] تخليق المقياس ، وفتح السد سنة خمس وأربعين وثمانمائة وست وأربعين وثمانمائة وسبع وأربعين وثمانمائة ، وكان حوله موكب عظيم من الأمراء والمماليك ، والعوام ، وخلع على أرباب

---

(١)الأتابك : أصله أطابك ، ومعناه الولد الأمير ، وقيل معناه أمير أب ، والمراد أبو الأمراء ، وهو أكبر الأمراء المقربين ، وليس له وظيفة ترجع إلى حكم وأمر ونهى ، وغايته رفعة المحل ، وعلو المقام . (القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ٤ ، ص ١٨).

(٢)المقريزى : السلوك ، حـ ٤ ، ق٣ ، تحقيق سعيد عاشور، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٣م، ص ١١٦٢، ابن شاهين الظاهرى: نيل الأمل ، ق٥ ، حـ ٢، ص ٩٥.

(٣)المقريزى : السلوك ، حـ ٤ ، ق٣ ، ص ١٢٥ ، ابن الصيرفى : نزهة النفوس ، حـ ٤ ، ص ١٩٥ ، ابن إياس : بدائع الزهور ، حـ ٢ ، ص ٢٢٩ .

(٤) محمد بن جقمق الأمير ناصر الدين أبو المعالى بن الظاهر أبى سعيد الجركسى الأصل ، القاهرى الحنفى ، أخو عثمان ، أمه الست قراجا ابنة أرغون شاه أمير مجلس الظاهرى برقوق ، ولد سنة ٨١٦هـ ، تلقى العلم ، وقرب إليه العلماء ، وأحسن إليهم ، وكانت غالب أوقاته مصروفة للعلم ، مات فى حياة أبيه سنة ٨٤٧هـ، كان محمود السيرة ، دفن بالقرب من القلعة . (السخاوى : الضوء اللامع ، حـ٧ ، ص٢١٠ إلى ص٢١٢).

الوظائف ، وأبناء الرداد الأمناء على زيادة النيل ، والريسا بالمراكب ، ثم توجه إلى القلعة فخلع عليه السلطان خلعة جليلة[١] .

ثم تولى القيام برسوم الاحتفال بالزيادة عثمان بن الملك الظاهر جقمق بعد أخيه المقر الناصرى محمد فى سنوات تسع وأربعين ، وخمسين ، وإحدى وخمسين ، واثنتين وخمسين ، وثلاث وخمسين وثمانمائة[٢] .

وكان النيل قد توقف عن الزيادة فى سنة أربع وخمسين فضج الناس وغلت الغلال فنادى السلطان بالخروج للاستسقاء ، فخرج العلماء والصلحاء وعامة الناس ، إلا أن السلطان جقمق لم ينزل للاستسقاء ، ثم لم يزد النيل إلا إصبعًا واحدًا ثم هبط ، فرسم السلطان بفتح السد بغير وفاء[٣] .

وربما كان عدم نزول السلطان للاستسقاء تأثرا بحالته الصحية ، حيث كان مريضًا[٤] ومن المرجح أنه لم يقو على النزول للاستسقاء مع الناس .

وقد ركب سيدى عثمان بن السلطان لتخليق المقياس وفتح السد فى عامي خمس وخمسين وثمانمائة وست وخمسين وثمانمائة[٥] .

---

(١)ابن حجر العسقلانى : أنباء الغمر ، حـ ٩ ، ص ١٥٩ ، ابن الصيرفى : نزهة النفوس ، حـ ٤ ، ص ٢٣٥، ابن شاهين الظاهرى : نيل الأمل ، ق٥ ، حـ ٢ ، ص ١٦٠ ،ص ١٧٣ ، ابن إياس : بدائع الزهور ، حـ ٢ ، ص ٢٢٩ ، ص ٢٣٤ ، نشق الأزهار ، ص ١٠٠ .

(٢)ابن شاهين الظاهرى : نيل الأمل ، ق٥ ، حـ ٢ ، ص ٢٣٤ ، ص ٢٨٩ ، ابن إياس : بدائع الزهور ، حـ٢، ص ٢٥٠ ، ٢٥٥ ، نشق الأزهار ، ص ١٠٠ .

(٣)ابن إياس : نشق الأزهار ، ص ١٠٢ .

(٤)المقريزى : الخطط ، م٢ ، حـ ٣ ، ص ٣٩٦ بهامش الكتاب بعد النهاية .

(٥)ابن شاهين الظاهرى : نيل الأمل ، ق٥ ، حـ ٢ ، ص ٣٣٩ ، ص ٣٦٥ ، ابن إياس : نشق الأزهار ، ص ١٠٢ ، ١٠٣ .

وفى سلطنة الأشرف إينال[١] نزل ابنه الشهاب أحمد[٢] لتخليق المقياس وكسر سد الخليج على العادة فى عامَي سبع وخمسين وثمان وخمسين وثمانمائة[٣] .

وفى سنة ثمان وخمسين نادى منادى البحر أن المناداة بزيادة النيل كل يوم تكون فى صبيحة اليوم الذى يليه[٤] وربما كان التغيير فى توقيت المناداة التى كان يخبر بها الناس يومًا بيوم رغبة فى الرجوع إلى السلطان لدواعى الأمن والاستقرار .

وقد توالى ركوب ابن السلطان – الشهاب أحمد – لتخليق المقياس وكسر السد فى أعوام تسع وخمسين وستين وإحدى وستين واثنين وستين وثلاث وستين وأربع وستين وثمانمائة[٥] .

---

(١)الملك الأشرف إينال تولى السلطنة فى ربيع الأول سنة ٨٥٧هـ ، وخلع نفسه فى مرض موته فى جمادى الأولى سنة ٨٦٥هـ ، وكانت مدة سلطنته ثمانى سنوات .(المقريزى : الخطط ، م٢ ، حـ ٣ ، ص ٣٩٦ ، بالهامش بعد نهاية الكتاب).

(٢)هو المؤيد أحمد بن الأشرف إينال ، أقامه والده فى السلطنة فى مرض موته ، ثم خلع فى رمضان سنة ٨٦٥هـ ، فكانت مدته أربعة أشهر .(المقريزى : الخطط ، م٢ ، حـ ٣ ، ص ٣٩٦ بالهامش).

(٣)البقاعى : إبراهيم بن عمر البقاعى (ت ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م) إظهار العصر لأسرار أهل العصر ، ق١ ، تحقيق محمد سالم بن شديد العوفى ، ط الأولى ، ١٤١٢هـ / ١١٩٢م ، الرياض ، ص ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ابن شاهين الظاهرى : نيل الأمل ، ق٥ ، حـ٢ ، ص ٤٠٣ ، ٤٢٣ ، ابن إياس : نشق الأزهار ، ص ١٠٣ .

(٤)البقاعى : إظهار العصر لأسرار أهل العصر ، ق٢ ، ص ٦٠ .

(٥)ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، حـ ١٦ ، ص ٢٨٧ ، البقاعى: إظهار العصر ، ق٢ ، ص ٢٩٩ ، ق٣، ص ٧٣ ، ابن شاهين الظاهرى : نيل الأمل ، ق٦ ، حـ ٢ ، ==

٩- ومن الأمور التى جدت على تلك الرسوم المناداة بوداع البحر ، ومعناها كما ورد فى بعض المصادر أى استقراره على آخر قياس تمت المناداة به سواء بالوفاء أو بالتوقف[١] .

وفى سنة خمس وستين وثمانمائة أوفى النيل فرسم السلطان للأمير الكبير شرباش كرد[٢] بالنزول لفتح السد فنزل لفتحه[٣] .

كان النيل قد توقف عن الزيادة فى أول سلطنة الظاهر خُشْقَدم(٨٦٥هـ)[٤] ، واستمر فى توقفه نحوًا من أربعة عشر يومًا ، فانتابت الناس المخاوف ، وتكالب الناس على شراء الغلال ، فتزايد سعرها ، وكان لكل يوم يتوقف عن الزيادة يقابله زيادة فى الأسعار ، فهم السلطان بهدم

==

ص ٢١ ، ص ٤٣ ، ص ٤٦ ، ص٨٧، ابن إياس : نشق الأزهار ، ص ١٠٣ ، ١٠٤ .

(١)البقاعى : إظهار العصر ، ق٢ ، ص ٣٣٤ ، ٣٨٨ .

(٢) جرباش كرت الجركسى المحمدى الناصر فرج بن برقوق ، ترقى فى الخدم حتى صار سلحدارا ، وعمل أمير أخور أيام الظاهر جقمق ، ولازال يترقى حتى عمل فى الأتابكية أيام الظاهر خشقدم ، نُفى إلى دمياط ، ثم عفا عنه السلطان ، وأقام ببيته حتى مات سنة سبع وسبعين وثمانمائة . (السخاوى: الضوء اللامع ، حـ٣، ص٦٦).

(٣)البقاعى : إظهار العصر ، ق٣ ، ص ٣٤٦ .

(٤)الظاهر خشقدم : الثامن والثلاثون من ملوك الترك بالديار المصرية ، وأول ملوك الروم بمصر ، بويع بالسلطنة بعد خلع أحمد بن إينال ٨٦٥هـ ، وكان قد تولى حجوبية الحجاب فأقام على ذلك إلى أن توفى الظاهر جقمق ، وتسلطن إينال ، ثم تولى أتابكية العسكر لأحمد بن إينال ، (ابن إياس : بدائع الزهور ، حـ ٢ ، ص٣٧٨، ٣٧٩) .

المقياس حتى لا يعلم الناس الزيادة من النقصان ، إلا أنه لم ينفذ ما عزم عليه ، ثم رسم للقضاة الأربعة بالتوجه إلى المقياس ومعهم قراء البلد ، فتوجهوا إلى المقياس ، وأقاموا به ثلاثة أيام فلم يزد النيل شيئًا[١] .

١٠- ولما لم يستقم أمر النيل فى الزيادة أرسل السلطان إلى الشيخ أمين الدين الأقصراى[٢] يستفتيه فى أمر النيل ، فأشار عليه بأن يجمع بنى العباس من كبير وصغير ويضعوا فى أفواههم شيئا من الماء ثم يمجوه فى إناء ويصبوه فى فسقية المقياس ، فرسم السلطان بذلك ، وجمع بنى العباس عند الخليفة ، وفعلوا ما أشير به ، وصبوا الماء فى فسقية المقياس ، فلم يلبث إلا أن زاد ، واستمر فى الزيادة إلى أن أوفى ، وكان قاضى القضاة قد توجه إلى المقياس للاستسقاء فزاد النيل إصبعين ، فكانت بشارة ابن أبى الرداد بالزيادة فخلع عليه السلطان[٣] .

كان قاضى القضاة قد رجع من المقياس فى سنة ست وستين وثمانمائة وشق القاهرة ، وأمامه رايات زعفران ، وانطلقت له النساء من الطبقات بالزغاريت تفاؤلاً بتوجهه إلى المقياس[٤] وتولى كسر السد فى تلك

---

(١) ابن إياس : بدائع الزهور ، حـ ٢ ، ص ٣٩٤ ، نشق الأزهار ، ص ١٠٤ .

(٢) أمين الدين يحيى بن محمد بن إبراهيم بن أحمد الأقصراى شيخ الإسلام ، ولد سنة ٧٩٥هـ ، لازم العز بن جماعة ، ولى مشيخة الأشرفية ، عرف بالصلاح المفرط ومساعدة الفقراء ، مات سنة ٨٨٠هـ . (السيوطى : نظم العقيان فى أعيان الأعيان ، حرره فيليب حتى ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٩٢٧م ، ص ١٧٧ ، ص ١٧٨) .

(٣) ابن إياس : بدائع الزهور ، حـ ٢ ، ص ٣٩٥ ، نشق الأزهار ، ص ١٠٤ ، ١٠٥ .

(٤) ابن إياس : بدائع الزهور ، حـ ٢ ، ص ٣٩٦ .

السنة بعد الوفاء قانم التجار[١] أمير مجلس وذلك فى سنة ست وستين وثمانمائة[٢] .

ولما كان الركوب لتخليق المقياس وكسر السد يأخذ شكلاً شرفيًا لمن يرسم له بذلك فقد رسم السلطان للشهاب أحمد العينى[٣] سبط الخوند زوجته كأولاد السلاطين، وركب معه نائب جدة[٤] وعومل معاملة أولاد السلاطين، وكان يومًا مشهودًا[٥] .

---

(١)قانم التاجر : الجركسى المؤيدى شيخ ، يعرف بالتاجر، اشتراه المؤيد فى سلطنته فأعتقه وصيره من مماليكه ، ترقى فى الخدم حتى صار أتابكا للعسكر ، مات فجأة سنة ٨٧١هـ . (السخاوى : الضوء اللامع ، حـ ٦ ، ص ٢٠٠ ، ٢٠١) .

(٢)ابن شاهين : نيل الأمل ، ق ٦ ، حـ ٢ ، ص ١٤٨ .

(٣)الشهابى أحمد بن عبد الرحيم بن بدر الدين العينى ، أمه بنت أبْرَك الجكمى الذى تزوج خوند الأحمدية قبل خشقدم ، وقد تزوجها الزينى عبد الرحيم بن قاضى القضاة بدر الدين العينى ، فولدت الشهاب أحمد ، تقدم فى الخدم فى سلطنة خشقدم زوج جدته حتى صار أمير أخور كبير . (ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، حـ١٦ ، تقديم : محمد حسن شمس الدين ، ط. الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٤٠٣هـ / ١٩٩٢م) ، ص٢٤٠ ، ص ٢٦٤).

(٤)جدة : مرسى مكة على شط البحر الأحمر ، بينها وبين مكة أربعون ميلاً ، وهى ميقات من يقصدها من جهة عيذاب. (أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ٩٣) .

(٥) ابن شاهين : نيل الأمل ، ق٦ ، حـ٢ ، ص ١٦٦ ، ابن إياس : بدائع الزهور ، حـ ٢ ، ص ٤٠٦ ، نشق الأزهار ، ص ١٠٥ .

وفى سنة ثمان وستين نزل السلطان بنفسه لتخليق المقياس وعاد فى الحراقة ، وفتح الخليج بحضرته وركب إلى القلعة ، وتعجب الناس لذلك[١] ، وربما كان مرد التعجب لأنه كان قد بطل ركوب السلاطين لتلك الرسوم منذ عام ثلاث وثلاثين وثمانمائة ، فكان حشقدم هو من أعاد تلك الرسوم من السلاطين[٢] .

وكان ركوب السلطان للتخليق وكسر الخليج بنفسه فى عام تسع وستين وثمانمائة فى موكب حافل ويوم مشهود[٣] .

وعندما توقف النيل عن الزيادة فى سنة سبعين وثمانمائة لمدة ستة أيام، واستمر توقفه توجه الأمير تمراز[٤] والى الشرطة ، وعدى إلى الروضة وحرق الخيام ، وضرب جماعة من المتفرجين بالمقارع ، ثم بعث الله النيل حتى أوفى ، فتوجه الأتابكى قانم التاجر ، وفتح السد على العادة[٥] .

---

(١) السيوطى : كوكب الروضة ، ص ١٦٩ ، ابن شاهين الظاهرى : نيل الأمل ، ق٦ ، حـ ٢ ، ص ١٩٤ ، ابن إياس : بدائع الزهور ، حـ ٢ ، ص ٤٢٢ ، نشق الأزهار ، ص ١٠٥ .

(٢)السيوطى : كوكب الروضة ، ص ١٦٩ ، ابن إياس : بدائع الزهور ، حـ ٢ ، ص ٤٢٢ .

(٣)ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، حـ ١٦ ، ص ٢٨٩ ، ابن شاهين الظاهرى : نيل الأمل ، ق٦ ، حـ ٢ ، ص ٢١٨ ، ابن إياس : بدائع الزهور ، حـ ٢ ، ص ٤٣١ ، نشق الأزهار ، ص ١٠٥ .

(٤)تمراز الشمسى الأشرفى برسباى ، صار فى الأيام الأينالية ساقيًا ، عمل كشاف تراب فى أيام قايتباى ، كاد أن يقتل بيد العساكر العثمانية سنة ٨٩٣هـ ، كان متوددًا للفقراء والعلماء ، مقبلاً عليهم . (السخاوى : الضوء اللامع ، حـ ٣ ، ص ٣٦ – ٣٨).

(٥)ابن إياس : نشق الأزهار ، ص ١٠٦ .

تكرر توقف النيل عن الزيادة فى عام واحد وسبعين وثمانمائة ، فرسم السلطان للقضاة الأربعة ومشايخ العلماء بالتوجه إلى المقياس إلى أن أذن الله تعالى بالزيادة[١] ، فخلق المقياس وفتح الخليج الأتابك قانم[٢] .

وعندما أوفى النيل سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة نزل السلطان خشقدم بنفسه وتوجه إلى المقياس ثم نزل فى الحراقة وأتى السد ففتحه ، وركب فى موكب حافل حتى وصل إلى القلعة ، وكان هذا آخر ركوب لتلك الرسوم حيث حُم جسده بعد طلوعه إلى القلعة ولزم الفراش[٣] .

وفى سنة أربع وسبعين وثمانمائة أوفى النيل فتوجه الأمير لاجين[٤] أحد الأمراء المقدمين[٥] وفتح السد ، وتولى تخليق المقياس وفتح السد فى

---

(١)ابن إياس : نشق الأزهار ، ص ١٠٦ .

(٢)ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، حـ ١٦ ، ص ٢٩٥ .

(٣)ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، حـ ١٦ ، ص ٣٠٠ ، ابن شاهين الظاهرى : نيل الأمل ، ق٦ ، حـ ٢ ، ص ٢٧٢ ، ابن إياس : بدائع الزهور ، حـ ٢ ، ص ٤٥٠ ، ٤٥١ ، نشق الأزهار ، ص ١٠٦.

(٤) لاجين الجركسى يعرف بالشيخ لاجين كان يحدث نفسه بملك الديار المصرية ، وإبطال الأوقاف ، مات وقد قارب الثمانين ، كان مشهورا بسوء العقيدة . (السخاوى : الضوء اللامع، حـ ٦ ، ص ٢٣٢).

(٥) ابن شاهين الظاهرى : نيل الأمل ، ق٦ ، حـ ٢ ، ص ٣٩٣ ، ابن إياس : نشق الأزهار ، ص ١٠٧ .

عام خمس وسبعين وثمانمائة جانبك قلقسيز[١] وهو أيضًا أحد الأمراء المقدمين[٢] .

وبداية من عام ست وسبعين وثمانمائة إلى سنة تسعمائة تولى مباشرة جُلّ هذه الرسوم الأتابك أزبك[٣] ولم تأخذ هذه المدة شكلاً منتظمًا[٤] حيث تخللها بضع سنوات أسند فيها مباشرة تلك الرسوم إلى أمراء غير أزبك ،

---

(١) جانبك قلقسيز : يعرف بقلقسيز ، ممن سجن أول أيام الظاهر جقمق ، ثم أطلق وتعلم الكتابة ، ثم ترقى فى الخدم ، وتولى الحجوبية ، ونيابة الشام حتى مات سنة ٨٨٣م ، (السخاوى : الضوء اللامع ، حـ٣ ، ص ٥٨-٦٢) .

(٢) ابن شاهين الظاهرى : نيل الأمل ، ق٦ ، حـ ٢ ، ص ٤٢٨ ، ابن إياس : نشق الأزهار ، ص ١٠٧ ، بدائع الزهور ، حـ٣ ، ص ٥٢ .

(٣) أزبك بن ططخ الأشرفى ثم الظاهرى جقمق ، تنقلت به الأحوال ، وترقى فى الخدم فى مصر والشام ثم استقر فى الأتابكية ، وهو من محاسن الأمراء ، وله أوراد وأذكار وتهجد ، (السخاوى : الضوء اللامع ، حـ٢ ، ص ٢٧٠ ، ٢٧٣) .

(٤) ابن الصيرفى : على بن داود الجوهرى الصيرفى (ت ٩٠٠هـ / ١٤٩٤م) إنباء الهصر بأبناء العصر ، تحقيق وتقديم حسن حبشى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠١ ، ص ٣٢٩ ، ابن شاهين الظاهرى : نيل الأمل ، ق٧ ، حـ٢ ، ص ١٦ ، ٤٣ ، ١٣٥ ، ٢٩٣ ، ٣١٩ ، ٣٥٤ ، ٣٨٤ ، ٤٢٣ ، ق٨ ، حـ٢ ، ٧٧ ، ١٥٩ ، ابن إياس : نشق الأزهار ، ص ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، بدائع الزهور ، حـ٣ ، ص ٦٣ ، ١٤٦ ، ١٥٥ ، ١٨٤ ، ٢١٩ ، ٢٩٦ ، ٣٠٤ ، ٣١٠ ، ابن الحمصى : أحمد بن محمد بن عمر الأنصارى (ت ٩٣٤هـ / ١٥٢٧م) حوادث الزمان (١ – ٣) تحقيق عبد العزيز فياض حرفوش ، دار النفائس ، د.ت ، ص ٢٧٨ .

ومن ذلك ما كان فى سنة ثمان وسبعين وثمانمائة وسنة اثنتين وثمانين وثمانمائة حيث توجه الأمير لاجين الظاهرى أمير مجلس لفتح الخليج[١] .

وفى سنة إحدى وتسعين وثمانمائة رسم بفتح السد للأمير أزدمر تمساح[٢] وكان أزبك غائبا فى مهمة عسكرية[٣] ، وكذلك فى سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة تولى أمر رسوم الزيادة آقبردى الروادار[٤] ولم يتولْ هذا الأمر إلا هذا العام لغياب أزبك فى مهمة عسكرية[٥] .

تولى أمر التخليق وفتح الخليج عام خمس وتسعين وثمانمائة الأمير أزدمر تمساح[٦] .

---

(١) ابن إياس : بدائع الزهور ، حـ ٣ ، ص ٩٠ ، ١٣٣ ، نشق الأزهار ، ص ١٠٧ ، ١٠٨ .

(٢) أزدمر تمساح : أحد المقدمين من مماليك الظاهر جقمق ، ولقب بتمساح لضربه له بين يدى أستاذه ، كان أميرا على المحمل غير مرة ، حمدت سيرته ، عرف بالتواضع وعلو الهمة والشجاعة ، (السخاوى : الضوء اللامع ، حـ٢ ، ص ٢٧٤).

(٣) ابن شاهين الظاهرى : نيل الأمل ، ق٨ ،حـ٢ ، ص ٣٧ ، ابن إياس : بدائع الزهور ، حـ٣ ، ص ٢٣٠ ، نشق الأزهار ، ص ١٠٩ .

(٤) أقبردى الدوادار : أقبردى الأشرفى قايتباى ، هو ابن عم قايتباى وقريبه ، ترقى فى الخدم ، وصار إليه الحل والربط ، وأضيف إليه الوزر والاستادارية. السخاوى : (الضوء اللامع ، حـ ٢ ، ص ٣١٥) .

(٥) ابن إياس : بدائع الزهور ، حـ ٣ ، ص ٢٥٤ ، نشق الأزهار ، ص ١١٠ .

(٦) ابن شاهين الظاهرى : نيل الأمل ، ق٨ ، حـ٢ ، ص ٢٠٠ ، ابن إياس : بدائع الزهور ، حـ٣ ، ص ٢٧٤ ، نشق الأزهار ، ص ١١٠ .

وفى سنة تسع وتسعين وثمانمائة دخل مبشر النيل إلى دمشق بخلعة ، وتلقاه النائب على العادة[١]، وهو ما يدل على الاستمرار فى ذلك الرسم .

ورغم حدوث الوفاء سنة إحدى وتسعمائة إلا أن البلاد كانت على حالة من الاضطراب وذلك لأن السلطان الأشرف قايتباى[٢] كان فى النزع الأخير فتوجه الأتابك تمراز[٣] وفتح السد ، وكان هذا أول فتحه وآخر فتحه له[٤] ، فلم تجر الرسوم على سيرتها المعهودة بسبب مرض السلطان ، وما صاحبه من اضطراب .

واستمرارا لحالة الاضطراب التى أثرت على تلك الرسوم ، فقد امتدت لعام اثنين وتسعمائة التى شهدت صراعًا بين الأمير آقبردى والناصر محمد بن الأشرف قايتباى[٥] فلما أوفى النيل رسم الأمير آقبردى للوالى أن يقوم بفتح

---

(١) ابن طولون : شمس الدين محمد بن طولون (ت ٩٥٣هـ / ١٥٤٦م) مفاكهة الخلان فى حوادث الزمان ، ق١، تحقيق محمد مصطفى ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٣٨١هـ / ١٩٦٢م ، ص ١٥٩ .

(٢) الملك الأشرف قايتباى تولى السلطنة سنة ٨٧٢هـ بعد خلع تمربغا ، وتوفى سنة ٩٠١هـ ، فكانت مدته ٢٩ سنة وأربعة أشهر .(المقريزى : الخطط ، م٢ ، حـ٣ ، ص ٣٩٧ ، بالهامش) .

(٣) تمراز الشمسى الأشرفى برسباى ، صار فى الأيام الإينالية ساقيًا ، عمل كشاف تراب فى أيام قايتباى ، كاد أن يقتل بيد العساكر العثمانية سنة ٨٩٣هـ ، كان متوددا للفقراء والعلماء ، مقبلاً عليهم . (السخاوى : الضوء اللامع ، حـ٣ ، ص ٣٦ – ٣٨).

(٤) ابن إياس : نشق الأزهار ، ص ١١١ .

(٥) الناصر محمد بن الأشرف قايتباى تولى السلطنة بعد وفاة والده سنة ٩٠١هـ ، ثم قتل بالجيزة سنة ٩٠٤هـ ، فكانت مدته سنتين وثلاثة أشهر .(المقريزى : الخطط ، م٢ ، حـ٣ ، ص ٣٩٧ بالهامش) .

السد ،فلما توجه الوالى للخليج وجد الشيخ عبد القادر الدشطوطى[١] قد فتح جانبًا منه وسال منه الماء ، ولم يتوجه أحد من الناس للفرجة على فتح الخليج على العادة[٢] .

وبهذا تطغى الأحداث السياسية على اهتمام الناس بتلك الرسوم .

ولما أوفى النيل سنة أربع وتسعمائة ، وعزم الملك الناصر محمد بن الأشرف قايتباى على الخروج بنفسه ، والتوجه إلى المقياس ، لم يمكنه الأمراء من ذلك خوفًا عليه من القتل ، فشق عليه ذلك ، فنزل من القلعة ليلاً بعد العشاء ، ومعه الفوانيس والمشاعل ، وصحب معه أولاد عمه ، وبعض خواصه ، وتوجه لفتح السد ، ففتحه ثم عاد إلى القلعة ، ولما طلع النهار وجد الناس الخلجان قد عمرت بالمياه ، وهذا مما خالف عادة الناس فى فتح الخليج نهارا ، فقطع بذلك على الناس سرورهم[٣] .

وعندما أوفى النيل سنة أربع وتسعمائة رسم الظاهر قانصوه[٤] (خال الملك الناصر محمد بن قايتباى)

---

(١) محيى الدين عبد القادر بن بدر الدين الدشطوطى ، كان السلطان قايتباى يعتقد فى صلاحه كل الاعتقاد ، وكان من المتقشفين ، بنى مسجده وقبته خارج باب الشعرية ، توفى بعد ٩٣٠هـ . (السخاوى : الضوء اللامع ، حـ٤ ، ص٣٠٠ ،٣٠١). على باشا مبارك : الخطط التوفيقية الجديدة ، ط الأولى ، المطبعة الأميرية الكبرى ، بولاق ، القاهرة ، ١٣٠٥هـ ، حـ ٣ ، ص ٧٢ .

(٢) ابن إياس : بدائع الزهور ، حـ٣ ، ص ٣٩٦ ، نشق الأزهار ، ص ١١٢ .

(٣) ابن إياس : بدائع الزهور ، حـ ٣ ، ص ٣٩٦ ، ص ٣٩٧ ، نشق الأزهار ، ص ١١٢ ، ص ١١٣.

(٤) الظاهر قنصوة : الثالث والأربعون من ملوك الترك ، والسابع عشر من الجراكسة ، اشتراه قانصوةالألفى ، وقدمه مع غيره للأشرف قايتباى ، ثم اتضح أنه أخو سرية ==

للأمير طومان بك الدوادار[١] حيث توجه إلى المقياس فى الحراقة ، فخلق العامود، ورجع إلى فتح السد، فأظهر ذلك اليوم غاية ما يكون من العظمة وفرق الحلوى ومشنات الفاكهة والبطيخ الصيفى[٢].

ورغم اضطراب أحوال البلاد فى تلك الحقبة ، والصراعات المستمرة بين الأمراء إلا أن ذلك لم يمنع من إقامة الرسوم فى ذلك العام ، رغم تأثير تلك الاضطرابات عليها قبل ذلك ، وهو ما يعنى اختلاف الأمر بالنسبة للقائمين على البلاد ، ومدى رغبتهم وإصرارهم على إقامة تلك الرسوم ، وإفشاء حالة من السرور على جميع طوائف الشعب ، وربما كان ذلك رغبة فى إخراج الجميع من حالة الترقب والخوف التى سيطرت على حياتهم لمدة طويلة .

==

السلطان قايتباى وأم ولده محمد ، فأقام عنده إلى أن توفى قايتباى ، وتسلطن ولده محمد ، وأطلق عليه خال السلطان ، ولما انتصر محمد على أعدائه خلع على خاله وقرره فى الوزارة والاستادارية ، ولما قتل الناصر محمد ووقع الاضطراب فيمن يلى السلطنة اتفق الأمراء على سلطنته . ابن إياس : بدائع الزهور ، حـ٣ ، ص ٤٠٤ ، ٤٠٥ .

(١) طومان باى الدوادار : كان من كتابية الأشرف قايتباى ، واستمر على ذلك حتى تسلطن الناصر محمد بن قايتباى ، ثم اشتراه قانصوة الغورى ، وكان يلوذ له بقرابة ، حتى كان يقال له ابن قانصوة ، ترقى فى الخدم حتى تسلطن قانصوة الغورى وأنعم عليه ، ثم قرره فى الدوادارية الكبرى ، واستمر بها إلى خروج الغورى لابن عثمان ، فجعله نائبا ، ثم تولى السلطنة ، وكان أول سلطان يشنق على باب زويلة ، مات عن أربع وأربعين سنة . (ابن إياس : بدائع الزهور ، حـ٣ ، مطابع الشعب ، القاهرة ، ص١٠٩٣ وما بعدها) .

(٢) ابن إياس : بدائع الزهور ، حـ٣ ، ص ٤٢٣ ، نشق الأزهار ، ص ١١٣ .

١١- كذلك تولى تخليق المقياس وفتح الخليج فى عام خمس وتسعمائة بعد الوفاء الأمير طومان باى الدوادار ، وكان هذا آخر فتح له هذا العام[١] وأظهر طومان باى غاية العظمة فى ذلك اليوم ، وفرق الحلوى والفاكهة ، ونثر للعوام فضة عند السد[٢] ، وهى أول مرة يرد فيها ذكر نثر الفضة على العوام عند القيام بتلك الرسوم .

وأصبحت البلاد مسرحًا للاضطرابات بين طوائف الجند فى سنة ست وتسعمائة ، ورغم ذلك رسم للأمير مغلباى[٣] الزردكاش[٤] بالخروج للتخليق وفتح السد[٥] .

وفى سنة سبع وتسعمائة أوكب نائب دمشق لتلقى المبشر بالنيل ، ودخل به إلى دمشق[٦]، وقد خرج فى ذلك العام للتخليق

---

(١) ابن إياس : نشق الأزهار ، ص ١١٤ .

(٢) ابن إياس : بدائع الزهور ، حـ ٣ ، ص ٤٤٦ ، ابن الحمصى: حوادث الزمان ، (١-٣) ، ص ٣٦١.

(٣) مغلباى الأشرفى برسباى صار فى أيام الأشرف قايتباى حاجبًا بحلب ثم نقل إلى القاهرة بطالاً ، إلى أن عمله شاد أوقاف الأشرفية ، بعد خجداشة قانصوه الأشرفى. السخاوى : الضوء اللامع ، حـ١٠ ، ص ١٦٥.

(٤) لفظة أعجمية معناها صانع الزرد (المتخذ لصناعة الدروع) وهى وظيفة لها غلمان وفراشون بسبب خدمة القماش . (القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ٤ ، ص١١، ١٢).

(٥) ابن إياس : نشق الأزهار ، ص ١١٤ ، ابن الحمصى : حوادث الزمان ، (١-٣) ص ٤٠٦

(٦) ابن طولون : مفاكهة الخلان ، ق١ ، ص ٢٤٧ .

وفتح السد الأتابكى قيت الرجبى[١] جريًا على طريقة الرسم للأمراء بذلك[٢] .

أما فى سنة ثمان وتسعمائة فقد توجه للتخليق وفتح السد الأمير سودون العجمى[٣] أمير مجلس[٤] ، وفى عام تسع وتسعمائة تولى التخليق وفتح الخليج الأتابك قيت ، وكان هذا آخر فتحه للخليج[٥] .

ومن سنة عشرة وتسعمائة إلى سنة خمس عشرة وتسعمائة تولى تخليق المقياس وكسر سد الخليج الأتابكى قرقماش ، وكان هذا آخر العهد بتولية هذا الأمر حيث مات عقب ذلك[٦].

١٢- وفى سنة ست عشرة وتسعمائة توقف النيل عن الزيادة ، فنزل السلطان إلى المقياس ، وبات به وقرأ ختمة شريفة ، فأوفى ثانى ليلة ، فاستبشر الناس بنزول السلطان ، ولما أوفى نزل الأتابكى سودون العجمى وفتحه على العادة[٧] .

---

(١) قيت الرجبى : استقر فى الولاية بعد قيت الساقى الأشرفى سنة ٨٩٧هـ ، (السخاوى : الضوء اللامع ، حـ٦ ، ص ٢٢٦).

(٢) ابن إياس : نشق الأزهار ، ص ١١٤ ، ابن الحمصى ، حوادث الزمان ، (١-٣) ، ص ٤٠٦ .

(٣) سودون الدوادارى العجمى أحد الأمراء العشروات ، خلع عليه قانصوة الغورى وقرره فى نيابة الشام بعد وفاة قانصوة البرجى سنة ٩١٠هـ ، (الطباخ : محمد راغب الطباخ : إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ، حـ٣ ، تصحيح وتعليق : محمد كمال ، دار القلم العربى ، حلب ، ط.الأولى ١٩٢٣م ، ط. الثانية ١٩٨٨م ، ص٩٠ ، ٩٥).

(٤) ابن إياس : نشق الأزهار ، ص ١١٤ ، ص ١١٥ ، ابن الحمصى : حوادث الزمان ، (١-٣) ، ص ٤٢٢ ص ٤٢٣ .

(٥) ابن إياس : نشق الأزهار ، ص ١١٥ .

(٦) ابن إياس : نشق الأزهار ، ص ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ .

(٧) ابن إياس : نشق الأزهار ،ص ١١٧ .

وكانت العادة قد جرت بنزول قاضى القضاة والقراء والعلماء للمبيت والقراءة بالمقياس ، إلا أنه لعظم اهتمام السلطان نزل وبات بالمقياس وشارك بالختمة الشريفة .

كان سودون العجمى قد تولى أمر تخليق المقياس وفتح الخليج فى سنتي سبع عشرة وتسعمائة وثمان عشرة وتسعمائة ، وكذا فى سنة تسع عشرة وتسعمائة ، وسنة عشرين وتسعمائة[١] .

١٣- ومن الرسوم التى حدثت فى تلك المدة فيما يتعلق بالتبشير بأمر الزيادة ما كان من تعليق الستر على شباك القصر الجديد الذى أنشأه السلطان على بسطة المقياس فى سنة تسع عشرة وتسعمائة[٢] ، كان الستر فيما سبق يعلق على شباك المقياس .

كان المبشر بوفاء النيل قد دخل من مصر إلى دمشق فى سنة سبع عشرة وتسعمائة وتلقاه نائب دمشق على العادة[٣] ، وكذا فى سنة تسع عشرة وتسعمائة ، إلا أن النائب كان غائبًا عن دمشق عند وصول المبشر[٤] .

تولى فتح السد فى سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة بعد الوفاء الأمير طومان باى الدوادار ، قريب المقام الشريف[٥] .

---

(١) ابن إياس : نشق الأزهار ،ص ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ .

(٢) ابن إياس : نشق الأزهار ،ص ١١٨ ، ١١٩ .

(٣) ابن طولون : مفاكهة الخلان ، ق١ ، ص ٣٥٩ .

(٤) ابن طولون : مفاكهة الخلان ، ق١ ، ص ٣٧٦ .

(٥) ابن إياس : نشق الأزهار ، ص ١١٩ ، ١٢٠ .

الخـــاتـمـــة

- من خلال العرض السابق يتضح تعدد الرسوم المتعلقة بزيادة مياه النيل على مر العصور بداية من إنشاء المقياس بجزيرة الروضة حتى نهاية الفترة قيد البحث ، وهى رسوم تدل فى مجملها على الارتباط الوثيق بين الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للمصريين ، وبين مياه النيل ، وانطباع ارتياحهم لمقدار الزيادة على الرسوم التى يؤدونها.
- كما نلمس أنه قد جرى فى بعض الأحيان إهمال لتلك الرسوم بتأثير الأوضاع السياسية الداخلية والخارجية ، إلا أن ذلك لم يأخذ شكل الاستمرارية إنما عُد من النوادر .
- رغم تعدد الصبغات المذهبية ، والانتماءات السياسية للقوى المتربعة على حكم مصر ، إلا أن جميعها سارت فى نفس التوجه من الاهتمام بتلك الرسوم التى أخذها شيعتهم عن سنتهم ، ثم تسلمها سنتهم من شيعتهم ، وجميعهم يزيدون فيها ، ويهتمون لأمرها .
- لم يرد ذكر بالمصادر التى اعتمد عليها البحث بوقوع الاهتمام بالرسوم الاحتفالية لزيادة النيل فى عصر الولاة ، وكذا العصر الطولونى والإخشيدى .
- أن الغالبية العظمى من رسوم الاحتفال بزيادة النيل استقرت منذ العهد الفاطمى .
- كانت بعض هذه الرسوم تتغير ، ويُزاد فيها بحسب ما تقتضيه طبيعة الحكم القائم ، ومدى وفرة مياه النيل .
- شهد العصر الفاطمى الثانى مباشرة الوزراء لرسوم الاحتفال نيابة عن الخلفاء.
- ظلت تلك الرسوم على حالها طيلة العصر الأيوبى ، ولم تجر المبالغة فيها على النحو السابق – فى العصر الفاطمى – وذلك نظرا لاصطباغ ذلك العصر بصبغة جهادية .

- ارتبط موسم الاحتفال بزيادة النيل ببعض مظاهر المجون ، وقد اتخذت الحكومات القائمة العديد من الإجراءات ، التى كانت تُجدى أحيانا، وأحيانا أخرى لا تأتى بطائل.
- لم يشارك الكثير من سلاطين المماليك فى الاحتفال برسوم الزيادة .
- كثيرا ما رسم سلاطين دولة المماليك لأبنائهم ، وكبار أمراء دولتهم بمباشرة رسوم الاحتفال نيابة عنهم .
- جرت بعض التعديلات على بعض رسوم الاحتفال فى العصر المملوكى، كما تم استحداث البعض الآخر ، وذلك طبقا لمقتضيات الظروف والأحوال .
- أثرت الأحداث السياسية فى نهاية العصر المملوكى على اهتمام الدولة ، وعامة الرعية بتلك الرسوم الاحتفالية .
- وتجدر الإشارة إلى اختلاف مقدار الزيادة التى عليها مدار الرى والزراعة والجباية فى البلاد فى عصر الولاة وعصر الدولة الطولونية والإخشيدية، وعصر الدولة الفاطمية ، وبعضًا من العصر الأيوبى ، ثم طالعتنا المصادر بعد ذلك بقياسات أخرى لتلك الزيادة ، والغريب أن هذا وذاك كان مناسبًا للبلاد والعباد ، ففى المدة الأولى كان حد الوفاء ستة عشر ذراعا ، وفى المدة التالية سجلت المصادر سبعة عشر ذراعًا وثمانية عشر[١] وتسع عشرة ذراعًا[٢] .
- وهذه الزيادة لم نعهدها فى المدة الأولى ، ويجب أن نضع فى اعتبارنا أن الأراضى المجاورة لمجرى النيل ترتفع بسبب ما يحمله النيل فى كل

---

(١) المقريزى : السلوك ، حـ ٢ ، ق١ ، ص٢٥١ ، ٢٥٨ ، ٣٢٦ ، ٣٥٣ ، ٨٨٤ .

(٢) ابن الصيرفى : نزهة النفوس ، حـ ٤ ، ٢٦ ، ١٥١ .

سنة من الطمى، فضلاً عن زيادة قاع النهر أيضًا ، وعليه فإن الزيادة فى القاع والمحيط تؤثر على اختلاف القياس خاصة وأن المقياس لم ينقل من مكانه من يوم أقيم ، وأنه كان وافيًا بالغرض وقت إقامته ، إلا أن عامل الزيادة بالطمى أوضح اختلاف القياس .

والحمد لله رب العالمين

قائمة المصادر والمراجع

أولا: قائمة المصادر

١- الأقفهسى : شهاب الدين بن العماد الأقفهسى (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م)

- أخبار نيل مصر ، حققه ووضع حواشيه لبيبة إبراهيم مصطفى ونعمات عباس محمد ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م .

٢- ابن إياس : محمد بن أحمد بن إياس الحنفى (ت ٩٣٠هـ / ١٥٢٣م) :

- بدائع الزهور فى وقائع الزهور ، حـ١ ، ق١ ، حـ ٢ ، حـ ٣ ، حـ ٤ ، حـ٥ ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٢م ، ١٩٨٤م .
- نشق الأزهار فى عجائب الأقطار ، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية الإسلامية ، مجلد ٤٨ ، يصدرها فؤاد سزكين ، نصوص ودراسات حول جغرافيا وطبوغرافيا مصر، فرانكفورت ، ألمانيا الاتحادية ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م .

٣- البرزالى : علم الدين أبو محمد القاسم بن محمد بن يوسف البرزالى الإشبيلى الدمشقى (ت ٧٣٩هـ / ١٣٣٨م)

- المقتفى على كتاب الروضتين المعروف بتاريخ البرزالى ، حـ ٢ ،ق١ ، تحقيق عمر عبد السلام تدمرى ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م .

٤- ابن بطوطة : محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتى (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٨م):

- رحلة ابن بطوطة ، دار صادر ، بيروت ، د.ت .

٥- البقاعى : إبراهيم بن عمر البقاعى (ت ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م)

- إظهار العصر لأسرار أهل العصر ، ق١ ، تحقيق محمد سالم بن شديد العوفى ، ط الأولى ، الرياض ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .

٦- بنيامين التطيلى : بنيامين بن يونة التطيلى الأندلسى (ت ٥٦٩هـ / ١١٢٣م)
- رحلة بنيامين التطيلى ، ترجمة عذرا حداد ، دراسة وتقديم عبد الرحمن عبد الله الشيخ ، ط الأولى، المجمع الثقافى ، أبو ظبى ، ٢٠٠٦م .
٧- بيبرس المنصورى : ركن الدين بيبرس المنصورى الناصرى الخطائى الداودار المصرى (ت ٧٢٥هـ / ١٣٢٤م)
- مختار الأخبار فى تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية ، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان ، الدار المصرية اللبنانية ، ط الأولى ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .
٨- ابن تغرى بردى : جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى (ت ٨٧٤هـ / ١٤٠٧م) :
- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب مع استدراكات وفهارس جامعة ، مطبوعات وزارة الثقافة والإرشاد القومى ، القاهرة ، د.ت.
- حـ ١٦ ، ط. الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م .
٩- ابن جبير : محمد بن أحمد بن جبير (ت ٦١٤هـ / ١٢١٧م) :
- رحلة ابن جبير ، دار صادر ، بيروت ، د.ت .
١٠- ابن الجزرى : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أبى بكر الجزرى القرشى (ت ٧٣٨هـ / ١٣٣٧م) :
- حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر من أبنائه المعروف بتاريخ ابن الجزرى ، تحقيق عمر عبد السلام تدمرى ، ط الأولى ، صيدا ، بيروت ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .
١١- ابن حجر العسقلانى : شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٩م)
- إنباء الغمر بأبناء العمر ، ط الأولى ، ١٩٦٧م ، ط الثانية ، ١٩٨٦م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت .

١٢- ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد أبى بكر (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م)
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، حـ ١ ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، د.ت .
١٣- ابن دقماق : صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائى (ت ٨٠٩هـ / ١٤٠٦م)
- النفحة المسكية فى الدولة التركية ، من كتاب الجوهر الثمين فى سير الخلفاء والملوك والسلاطين ، تحقيق عمر عبد السلام تدمرى ، المكتبة العصرية ، بيروت ، د.ت .
١٤- الدوادارى : أبو بكر عبد الله بن أيبك (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م)
- درر التيجان وغرر تواريخ الأزمان ، بدون إيضاح أكثر من ذلك .
١٥- ابن الزيات : شمس الدين أبو عبد الله محمد الأنصارى (ت ٨١٤هـ / ١٤١١م)
- الكواكب السيارة فى ترتيب الزيارة ، مطبعة بولاق ، القاهرة ، ١٣٢٥هـ .
١٦- السخاوى : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى (ت ٩٠٢هـ / ١٤٩٧م)
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، ط الأولى ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .
١٧- السيوطى : الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م)
- كوكب الروضة فى تاريخ النيل وجزيرة الروضة ، تحقيق محمد الششتاوى، دار الآفاق العربية ، ط الأولى ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م .
١٨- الشابشتى : أبو الحسن على بن محمد المعروف بالشابشتى (ت ٣٨٨هـ / ٩٩٨م)
- الديارات ، تحقيق كوركيس عواد ، ط الثانية ، دار الرائد العربى ، بيروت ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
١٩- ابن شاهين الظاهرى : زين الدين عبد الباسط بن خليل بن شاهين الظاهرى الحنفى (ت ٩٢٠هـ / ١٥١٤م)

- نيل الأمل فى ذيل الدول ، المكتبة العصرية ، بيروت ، د.ت.

٢٠- الصفدى : أبو الحسن بن أبى محمد عبد الله الهاشمى (ت بعيد ٧١٧هـ / ١٣١٧م)

- نزهة المالك والمملوك فى مختصر سيرة من ولى مصر من الملوك ، تحقيق عمر عبد السلام تدمرى ، المكتبة العصرية ، بيروت ، د.ت .

٢١- ابن الصيرفى : الخطيب الجوهرى على بن داود الصيرفى (ت ٩٠٠هـ / ٤٩٤م)

- أنباء الهصر بأبناء العصر ، تحقيق وتقديم حسن حبشى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٢م .

- نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الزمان ، تحقيق حسن حبشى ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، ١٩٧٠م .

٢٢- طافور : بيرو طافور (زار مصر فى القرن السابع الهجرى / الخامس عشر الميلادى)

- رحلة طافورفى عالم القرن الخامس عشر الميلادى ، ترجمة وتقديم حسن حبشى ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، د.ت .

٢٣- ابن طولون : شمس الدين محمد بن طولون (ت ٩٥٣هـ / ١٥٤٦م)

- مفاكهة الخلان فى حوادث الزمان ، ق١ ، تحقيق محمد مصطفى ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٣٨١هـ / ١٩٦٢م .

٢٤- ابن الطوير : أبو محمد المرتضى عبد السلام الحسن القيسرانى (ت ٦١٧هـ / ١٢٢٠م)

- نزهة المقلتين فى أخبار الدولتين ، تحقيق وتقديم أيمن فؤاد سيد ، ط الأولى ، دار النشر فرانش شتايز شترتغارت ، دار صادر، بيروت ، د.ت .

٢٥- ابن ظافر الأزدى : جمال الدين أبو الحسن على بن منصور بن ظافر بن حسين الأزدى(ت ٦١٣هـ / ١٢١٦م)

- أخبار الدول المنقطعة ، حـ ٢ ، الأردن ، ١٩٩٩م .

٢٦- ابن عبد الحكم : أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين القرشى المصرى (ت ٢٥٧هـ / ٨٧٠م)
- فتوح مصر والمغرب ، تحقيق على محمد عمر ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م .
٢٧- العينى : بدر الدين محمود العينى (ت ٨٥٥هـ / ١٤٥١م)
- عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان ، عصر سلاطين المماليك ، تحقيق محمد محمد أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .
٢٨- عبد اللطيف البغدادى : عبد اللطيف بن يوسف بن محمد البغدادى (ت ٦٢٩هـ / ١٢٣١م)
- رحلة عبد اللطيف البغدادى فى مصر أو كتاب الإفادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر ، ط الثانية ، إشراف وتقديم عبد الرحمن عبد الله الشيخ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٨م .
٢٩- الفاخرى : بدر الدين بكتاش الفاخرى نقيب الجيوش فى مصر (ت ٧٤٥هـ / ١٣٤٤م)
- تاريخ الفاخرى ، حـ١ ، تحقيق محمد عبد السلام تدمرى ، ط الأولى ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م .
٣٠- أبو الفدا : عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر المعروف بأبىالفدا (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م)
- تقويم البلدان ، تصحيح رينود وماك كوكين ديسلان ، باريس ، ١٨٤٠م .
٣١- ابن الفرات : ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات (ت ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م)
- تاريخ ابن الفرات ، م٧ ، تحقيق وضبط قسطنطين زريق ، المطبعة الأميركانية ، بيروت ، ١٩٤٢م .
٣٢- ابن القلانسى : حمزة بن أسد بن على بن محمد أبو يعلى التميمى الدمشقى (ت ٥٥٥هـ / ١١٦٠م)
- ذيل تاريخ دمشق ، مكتبة المثنى ، بغداد ، د.ت .

٣٣- القلقشندى : أبو العباس احمد القلقشندى (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م)
- صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، حـ٣ ، حـ٨ ، دار الكتب الخديوية ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م .
٣٤- ابن كثير : أبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير القرشى الدمشقى (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م)
- البداية والنهاية ، حـ ١٠ ، تحقيق عبد الله عبد المحسن التركى ، دار هجر للطباعة والنشر ، ١٩٩٨م .
٣٥- الكندى : أبو عمر محمد بن يوسف الكندى (ت ٣٥هـ / ٩٦١م)
- كتاب الولاة وكتاب القضاة ، صححه رفن كست ، دار الكتاب الإسلامى ، القاهرة ، د.ت.
٣٦- ابن المأمون البطائحى : جمال الدين أبو على موسى بن المأمون البطائحى (ت ٥٨٨هـ / ١١٩٢م)
- نصوص من أخبار مصر ، تحقيق وتقديم أيمن فؤاد سيد ، المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية ، القاهرة ، د.ت .
٣٧- المقدسى : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر البناء الشامى المقدسى المعروف بالبشارى (ت ٩٣٠هـ / ١٥٢٣م)
- كتاب أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، ط الثانية ، ليدن ، ١٩٠٦م .
٣٨- المقريزى : تقى الدين أحمد بن على بن عبد القادر المقريزى (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤٢م)
- إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، حـ٢ ، تحقيق جمال الدين الشيال ، ط الثانية ، القاهرة ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م .

- إغاثة الأمة بكشف الغمة ، نشره محمد مصطفى زيادة ، جمال الدين محمد الشيال ، ط الثالثة ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م .
- المقفى الكبير ، حـ٢ ، حـ٨ ، تحقيق محمد اليعلاوى ، دار الغرب الإسلامى ، ط الأولى ، ١٤١١هـ / ١٩٩١م .
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية ، مجلدان أربعة أجزاء ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، د.ت .
- السلوك لمعرفة دول الملوك ، حـ٤ ، ق٢ ، تحقيق سعيد عاشور ، ط ١٩٧٢م ، حـ٤ ، ق٣ ، ط ١٩٧٣م .

٣٩- ابن مماتى : أسعد بن أبى المليح مماتى الوزير الأيوبى (ت ٦٠٦هـ / ١٢٠١م)
- كتاب قوانين الدواوين ، تحقيق عزيز سوريال عطية ، ط الأولى ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، ١٤١١هـ / ١٩٩١م .

٤٠- المنوفى : شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد السلام المنوفى (ت ٩٢٧هـ / ١٥٢٠م)
- كتاب الفيض المديد فى أخبار النيل السعيد ، تحقيق محمد الزاهى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت .

٤١- ابن ميسر : محمد بن على بن يوسف بن جلب (ت ٦٧٧هـ / ١٢٧٨م)
- أخبار مصر ، حـ ٢ ، تصحيح هنرى ماسيه ، مطبعة المعهد العلمىالفرنسى ، القاهرة ، ١٩١٩م .

٤٢- ابن النديم : أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد بن إسحاق الوراق البغدادى (ت ٣٨٤هـ / ٩٨٨م)

- الفهرست ، المطبعة الرحمانية ، القاهرة ، ١٣٤٨هـ .

٤٣- النويرى : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى (ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م)

- نهاية الأرب فى فنون الأدب ، حـ ٣٢ ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ، مراجعة عبد العزيز الأهوانى ، وسعيد عبد الفتاح عاشور ، ط الثانية ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م .
- حـ ٣٠ ، ط الثالثة ، ١٤١٨هـ / ٢٠٠٧م .

٤٤- ابن واصل : جمال الدين محمد بن سالم بن نصر بن سالم بن واصل (ت ٦٩٧هـ / ١٢٩٨م)

- مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ، حـ٣ ، حـ٥ ، تحقيق حسنين محمد ربيع ، مراجعة سعيد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة ، د.ت .

٤٥- ابن الوردى : سراج الدين ابن الوردى (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٩م)

- عجائب البلدان ، تحقيق وتعليق أنور محمود زناتى ، ط الأولى ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ٢٠١١م .

٤٦- ياقوت الحموى : شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)

- معجم البلدان ، حـ ٢ ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .

٤٧- ابن يونس : أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى الصدفى المصرى (ت ٣٤٧هـ / ٩٥٨م)

- تاريخ ابن يونس ، ق٢ ، تاريخ الغرباء ، جمع وتحقيق عبد الفتاح فتحى عبد الفتاح ، دار الكتب العلمية ، ط الأولى ، بيروت، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .

٤٨- اليونينى : قطب الدين موسى بن محمد اليونينى (ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٦م)

- ذيل مرآة الزمان ، م١ ، دراسة وتحقيق حمزة أحمد عباس ، المجمع الثقافى ، ط الأولى ، أبو ظبى ، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م .

ثانيا : المراجع الحديثة

١- أمين سامى باشا : تقويم النيل ، تصدير صلاح فضل ، أحمد زكريا الشلق ، حـ١ ، ط الثانية ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م .

٢- عبد الله الشرقاوى : تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الملوك والسلاطين ، تحقيق رحاب عبد الحميد القارى ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م .

٣- على باشا مبارك : الخطط التوفيقية الجديدة ، حـ٣ ، ط الأولى ، المطبعة الأميرية ، بولاق ، القاهرة ، ١٣٠٥هـ .

٤- قاسم عبده قاسم : النيل والمجتمع المصرىفى مصر فى عصر سلاطين المماليك ، ط الأولى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٨م .

٥- محمد راغب الطباخ الحلبى : إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ، حـ٣، تصحيح وتعليق محمد كمال ، دار القلم العربى ، حلب ، ط الأولى ، ١٩٢٣م ، ط الثانية ١٩٨٨م .

٦- محمد قنديل البقلى : التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٣م .

ثالثا : **القواميس**

١- محمد رمزى : القاموس الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥م ، ق١ ، ق٢ حـ ٤ ، ق٢ حـ٢ ، ق٢ حـ١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٤٩م .

رابعا : **المعاجم**

١- المعجم الوجيز : مطابع الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، ١٩٩٥م ، ١٩٩٦م.